وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

عنوان المذكرة

الهواجس النفسية والاجتماعية في رواية عائد إلى قبري لزكية علال

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- صابرة بوساكور
- سلمى ميموني

إشراف الأستاذ:

- عبد المالك مسعودان

لجنة المناقشة

الدكتور: كمال بولعسل ..... رئيسا

الأستاذ: عبد المالك مسعودان ..... مشرفا

الدكتور: خالد أقيس .....ممتحنا

السنة الجامعية 2018/2017 الموافق لـ 1439/1438 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

يـــا رب إن عظمـــت ذنـــوبي كثـــرة

فلقـــد علمـــت بـــأن عفـــوك أعظـــم

إن كـــــان لا يرجـــــوك إلا محســـــن

فمـــن الـــذي يـــدعو ويرجـــو المجـــرم

أدعـــوك ربـــي كمـــا أمـــرت تضـــرعا

فـــإذا رددت يـــدي فمـــن ذا يـــرحم

مـــالي إليـــك وســـيلة إلا الرجـــا

وجميـــل ظنـــي ثـــم إنـــي مســـلم

شكر وعرفان

"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي، وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

فبعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكللت بإنجاز هذه الرسالة، نحمد الله الواحد المعبود ونشكره، وهو بكل لسان محمود.

ويطيب لنا أن نتوجه بشكرنا وخالص امتناننا إلى الأستاذ الفاضل "عبد المالك مسعودان" الذي شرفنا بمتابعة رسالتنا هذه مؤطرا وموجها، فأنار لنا الدرب، بنصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة من أجل إتمام عملنا على أكمل وجه ممكن. كما نتوجه بخالص الشكر إلى الأساتذة الكرام على تفضلهم بقراءة هذا العمل من أجل تقويمه وتصحيح ما وقع فيه من أخطاء.

والشكر الجزيل إلى كل الذين كانوا عونا لنا في هذا العمل ونورا أضاء ظلمة الطريق، وإلى كل من زرعوا التفاؤل في نفوسنا ، وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات فلهم منا جزيل الشكر والامتنان.

مقدمة

مقدمة:

إن الرواية من الأجناس الأدبية الحديثة ،وهي عالم شديد التعقيد متناهي التراكيب متداخل الأصول، وأدب سري يتخذ من اللغة المادة الأولى له، ممتزج بالخيال ذو طبيعة سردية يتشكل من ألوان عدة بحسب أدوات السرد ولقد تأخر ظهورها عند العرب لأسباب عديدة، فقد استطاعت عربيا أن تبرز وتحتل مكانة مرقومة في فضاء الأدب ،ومن خلال دراستنا عرفنا أن الرواية كانت المرآة المعاكسة لحياة الإنسان وواقعه الاجتماعي ومشكلاته في الحياة ،كما تمكن الإنسان من اكتشاف تراث أجداده، وعاداتهم وتقاليدهم، ويعلم من خلالها أيضا كيف يمكن أن يتعامل مع بعض المشكلات التي تواجهه في الحياة، فتنوعت بذلك واختلفت باختلاف اتجاهاتها وأصبحت الرواية أوسع أشكال التعبير ،ومنها: " رواية عائد إلى قبري للروائية" زكية علال" وهي من تلك الروايات العربية الجزائرية التي حاولت أن تكون سجلا تاريخيا لحياة الإنسان الذي يعاني في حياته فقد عالجت الروائية زكية علال من خلالها عدة قضايا تختص بالهواجس النفسية الاجتماعية لتكون بذلك هذه الرواية تصوير لحياة الإنسان الذي يتخبط في دوامة من الصراعات " النفسية والاجتماعية" تارة تكون حسنة وتارة أخرى تكون سيئة ولهذا ارتأيناها موضوعا للبحث والدراسة وسميناها "بالهواجس النفسية والاجتماعية في هذه الرواية.

وقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب سنكتفي بذكر أهمها:

1- الرغبة في دراسة الرواية كجنس أدبي حديث.

2- الرواية الحالية هي الأنسب للتعبير عن الواقع المعيش باعتبارها جنسا أدبيا والخيال بكل حيثياته المتداخلة.

3- قلة الدراسات التطبيقية التي عالجت هذا العمل الإبداعي.

ويسعى هذا البحث من خلال عنوانه للإجابة عن الإشكاليات التي يطرحها وهي: كيف تجلت الهواجس النفسية والاجتماعية من خلال رواية "عائد إلى قبري" لزكية علال؟

حيث يتفرع هذا الاشكال إلى مجموعة من التساؤلات:

- كيف قدمت زكية علال عالمها الروائي ؟
- ماهي الأبعاد التي ترمي إليها من خلال روايتها ؟
- كيف عبرت عن القضايا النفسية والاجتماعية المطروحة في الرواية ؟

ونظرا لما تملكه هذه الرواية وما تحمله من قدرة فائقة للتعبير عن القضايا المختلفة وتصويرها تصويرا دقيقا يعكس مكونات هذا الواقع ويواكب حركة المجتمع وكان الهدف من خلال هذا البحث هو رصد واستنباط النماذج التي تضمنتها مختلف الهواجس النفسية والاجتماعية في هاته الرواية ومحاولة الكشف عنها وتبرز أهمية هذا البحث في كونه موضوعا جديدا لم يسبق دراسته من قبل، إلا أننا لا ننفي وجود بعض الدراسات التي أحاطت بأجزاء موضوعنا من بينها: أنواع الاغتراب

إستنادا لموضوع الدراسة ارتأينا أن تكون خطة البحث مقسمة إلى مقدمة وثلاثة فصول: الفصل الأول كان نظري أما الفصل الثاني والثالث فكانا نظري وتطبيقي معا نظرا لمقتضيات دراساتنا إضافة إلى خاتمة.

فالفصل الأول تحت عنوان الرواية الجزائرية النشأة والتطور، وكان عبارة عن تمهيد تناولنا فيه مفهوم الرواية لغة واصطلاحا، إضافة إلى النشأة والاتجاهات، وخصائص الخطاب الروائي.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان الهواجس النفسية تعرضنا فيه إلى العاطفة وتجربة الحب، ثم تأثير اللاشعور وعقدة الكبت، الذي تطرقنا فيه إلى تجليات وموضوعات اللاشعور والكبت في الرواية، وأخيرا هاجس الخوف وشعور الحزن.

الفصل الثالث المعنون بـ: "الهواجس الاجتماعية "، قسمناه إلى ثلاثة عناصر؛ حيث خصصنا العنصر الأول للحديث عن الاغتراب وتمظهراته في الرواية، والعنصر الثاني فصلناه للحديث عن موضوع الاستبداد السلطوي، أما الثالث فقد عرجنا فيه على الحديث عن الظلم والفساد الاجتماعي.

وأنهينا هذا البحث بخاتمة، ذكرنا فيها أهم النتائج التي وصلنا إليها.

لقد اتكأ بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي قصدنا به رصد التجليات والأبعاد النفسية والاجتماعية في الرواية وقامت دراستنا على مصادر ومراجع نذكر منها:

- التجربة الروائية المغاربية لـ: فتحي بوخالفة.
- اتجاهات الرواية الجزائرية لـ: واسيني الأعرج.
- "منطق السلطة و"التفكير والهجرة" لـ: ناصيف نصاف.
- قاموس لسان العرب لابن منظور.
- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وبحثنا كأي مشروع علمي لم يكن مستبشرا خاليا من العوائق العراقيل والصعوبات لعل أهمها:

- قلة الدراسات التي تناولت أعمال هذه الرواية خصوصا من هذه الناحية.
- صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع المتخصصة التي تخدم الموضوع.

وفي الأخير نشكر الله عز وجل ونحمده كثيرا ونحدد تشكرنا للأستاذ المشرف – عبد المالك مسعودان- على نصائحه وتوجيهاته القيمة وصبره الشديد وسعة باله وهو يتابع معنا انجاز هذا البحث ونتمنى أن تكون هذه الدراسة هادفة ومرجعا يستفيد منه كل باحث وينير دربه.

الفصل الأول:

الرواية الجزائريةالنشأة والتطور

المبحث الأول: مفهوم الرواية ونشأتها

المطلب الأول: مفهوم الرواية

1- لغــة:

جاء أن الرواية في المعنى اللغوي تعني القص والحكي والسرد والأخبار والإيضاح والإظهار. «وقد ورد في معجم لسان العرب في باب "روي"، روي بكسر الواو للماء يروي ريا. روى رواء والريان عكس العطشان وقال روى النبتة وتروي أي تنعم، وماء روى وروي أي عذب وروى الحديث والشعر يرويه رواية ومروا، إذا نشرت روايته، ويقال روى فلان شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه، ورويت الحديث فأنا راو»[1].

وعليه فقد أخذت مفردة الرواية في المعنى اللغوي معنى الريان وهو الذي يرتوي الماء حتى يشبع فهو عكس العطشان أي الشبعان من الماء، وروى النبتة أي سقاها ماءا، ويروي الحديث والشعر أي قرأه أو حفظ منه.

مصطلح الرواية كلمة مستحدثة لم تكن مستخدمة في اللغة العربية القديمة بدلالة على لون أدبي معين إلا أن لها دلالات أخرى قد تكون ذات صلة بتلك الدلالة المستحدثة.[2]

فالرواية مصطلح عصري الظهور، لها دلالات ومعاني مستلهمة ومقتبسة من واقع العصر القديم الذي كان يعايش آنذاك.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 2، دار الجيل، بيروت، ص 1262.

[2]- أحمد سيد محمد، الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 17.

ويقول الجوهري في كتابه الصحاح: «الرواية التفكير في الأمر وروينا على أهلي ولأهلي إذ آتيتهم بالماء، يقال من أين ريتكم بالماء ؟ أي من أين تروون الماء ؟ ورويت الحديث والشعر رواية فأنا راو في الماء والشعر والحديث، والشعر رواية وتقول أنشد القصيدة يا هذا ولا تقل إروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها»[1].

فالجوهري هنا يرى بان الرواية تتجسد في الشعر وهي التفكير في أمر ما ويقول رويت على أهلي الماء إذا أحضرت لهم الماء وسقيتهم منه

2- اصطلاحا:

تعرف الرواية على أنها جنس أدبي نثري خيالي يعتمد على السرد الحكي حيث نتخذ في كل عصر مضمونا وخصائص فينة جديدة وهي: قضية خيالية نثرية طويلة فيها عناصر متسلسلة أهمها الأحداث والشخصيات والزمان والمكان فالرواية إذن نوع أدبي نثري طويل متميز بسرد الأحداث الواقعية الفنية في تصوير المجتمعات والعوامل الخارجية وتحليل النفسيات والسلوكيات.[2]

وأهم ما يميز الرواية كجنس أدبي تصور باختين، بالمقارنة مع الأجناس الأخرى أنها جنس مفتوح ومركب، يمزج في بنيته الداخلية بين أجناس مختلفة (الشعر، النثر، الرحلة....) وبين لغات متعددة (الفصحى، العامية، اللغة الراقية، المبتذلة...) بحيث يمثل التعداد اللغوي الخاصية الجوهرية للخطاب الروائي لأن الرواية بنظر باختين هي التنوع الاجتماعي للغات والأصول الفردية تنوعا منظما، أدبيا.[3] فباختين يعتبر الرواية جنس مفتوح يحمل في

[1]- المرجع السابق، ص 18.

[2]- ينظر، محمد الصالح خرفي: تجربة مجلة آمال في الصحافة الأدبية. الجزائر، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، ص 27.

[3]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم الاختلاف، دار الأمان، الرباط، 2010، ص 15.

داخله أجناس متنوعة كالشعر والنثر والرحلة، ويجمع بين لغات مختلفة ومتعددة فهي مزيج من اللغات والأصول المتنوعة.

ويمكن أن نورد مجموعة من التعريفات للرواية عند جملة من الأدباء والنقاد العرب والغربيين حيث يعرفها "عبد المحسن طه": «على أنها نثر سردي واقعي كامل في ذاته وله طول معين»[1]. أي أنها تنوع أدبي نثري يعتمد أسلوب السرد الطويل.

كما نجد "سعيد الورقي": «يقرر بأنها تشكيل الحياة ذاتها، ويعتمد هذا التشكيل على الحدث النامي الذي يتشكل داخل إطار وجهة نظر الروائي، وذلك من خلال شخصيات متفاعلة مع الأحداث والوسط الذي تدور فيه، وعلى النحو يجسد في النهاية صراعا دراميا ذا حياة داخلية متفاعلة»[2] فهنا يرى سعيد الورقي بأن الرواية هي تصور الحياة الذي يعتمد على حدث حيث يكون هذا الحدث حسب تصور الروائي، وذلك من خلال تجسيده لشخصيات منسجمة مع الأحداث ومبنية على الواقع المعاش.

ويعرفها محمد الدغومي بقوله «الرواية كتابة تطورت في الغرب عن أشكال السرد لتصبح شكلا معبرا عن فئات إجتماعية وسطى قادرة على القراءة والكتابة».[3] أي أن الرواية أسلوب سردي يعبر عن فئات اجتماعية متمكنة من القراءة والكتابة ومواكبة للتطورات التي حصلت في الغرب.

فالرواية إذن «عالم شديد التعقيد متناهي التركيب متداخل الأصول إنها شكل أدبي جميل: اللغة هي مادته الأولى، والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتنمو وتربو وتتنوع وتخصب، والتقنيات لا تتعدد كونها

---

[1]- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، مصر 1983. ص 198.

[2]- السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية مصر، 1997. ص 05.

[3]- محمد الدغومي، الرواية المغربية والتعبير الاجتماعي، مطابع إفريقيا، الشرق، 1991، ص 43.

أدوات لعجن هذه اللغة المشبعة بالخيال ليتم تشكيلها على النحو المعين، إضافة إلى عنصر السرد بأشكاله، والحوار والحكية والأحداث والحيز المكاني والزماني».[1] أي أنها شكل أدبي يعتمد أسلوب السرد من حوار وحكية وأحداث إضافية إلى المكان والزمان وذات لغة مفعمة بالخيال.

المطلب الثاني: نشأة الرواية الجزائرية

ارتبطت نشأة الرواية الجزائرية ارتباطا وثيقا بالرواية العربية منذ بداياتها الأولى وأثناء نضجها الفني، فتأثر الرواية الجزائرية بالرواية العربية كان تأثرا واضحا من خلال تقليد المشارقة، وكذا التأثر بالقرآن الكريم والسيرة النبوية ولكن هذا لا ينفي تأثرها بالرواية الأوربية، «فالرواية الجزائرية الحديثة النشأة غير مفصولة إذن عن حداثة هذه النشأة في الوطن العربي كله، مشرقه ومغربه، سواء بنشأتها الأولى المتردد أو بانطلاقاتها الناضجة ولم تأت هذه النشأة عموما بمعزل عن تأثير الرواية الأوروبية»[2].

فالوضعية العامة للجزائر قديما أي عقب الاستقلال مزرية، فاقتصادها منهك ورؤوس الأموال تم تهريبها من طرف المستوطنين الفرنسيين ما جعل ظروف ولادة الرواية الجزائرية عسيرا، ونظرا للظروف الصعبة التي عاشها الشعب طوال السنوات الماضية من ثورات ومقاومات خلفت بذورها الجوع والفقر والتشرد والتخلف وغيرها من المعانات وقد انعكست هذه الوضعية الاقتصادية المزرية بعد الاستقلال سلبا على المستوى المعيشي حيث كان «للظروف التي مرت بها الجزائر بعد الأثر في الحياة الأدبية»[3].

[1]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 27.

[2]- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وانواعا وقضايا وأعلاما) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- ط2، 2009، ص 195.

[3]- مصطفى قيصر، عبد الحميد بن هدوقة، رواية ريح الجنوب مجلة المعرفة، سوريا، العدد 549، 2003.م ص 156.

فالسياسة الاستعمارية المنتهجة تسببت في طمس كل مقومات الشعب الجزائري، نظرا لكون الجزائر كغيرها من الاقطار العربية كانت له قبيل الاحتلال الفرنسي ثقافتها وتراثها الزاخر بالتقاليد الوطنية غير أن هذا التراث ما لبث أن استهدف لهجوم شديد من طرف الاستعمار إذ أن السلطات الفرنسية لم تكتف بتشريد وتهجير الشعب الجزائري من أرضه بل عملت أيضا على نشر الجهل والأمية وقد تجلى ذلك في، «إغلاق المساجد والمدارس التي تعلم العربية، وفي هدم الزوايا لأنها كانت مراكز لتثقيف الشبان وغرس روح المقاومة في نفوسهم»[1].

فالسلطات الاستعمارية كان هدفها اضطهاد المثقفين من الأدباء والفكرين عن طريق الزج بهم في السجون أو النفي كي لا ينشروا أفكارهم وكتاباتهم المنددة بالإستقلال وبالتالي القضاء على الثورة الفكرية والمسلحة معاً، ولكن هذا لم يمنع الشعب ولا الأديب من فقد العزيمة والأمل في مقاومة المحتل سواء بالسلاح أو بالقلم الذي يصور به واقعه المرير، فالإحساس العميق بالمسؤولية إتجاه القضية الوطنية دفع جيلا بأكمله من الروائيين إلى تسخير أقلامهم لخدمتها، وقد كان هذا التسخير للأدب بأي لغة كانت، حتى وإن كانت باللغة الفرنسية فاللغة لم تقف حائلا بينه وبين التعبير عن عروبة ووطنية قضتيه الجزائرية.

ولم تأت الرواية الجزائرية من فراغ بل كانت لها إرهاصات سابقة، لكن النقاد والباحثون يكاد يجمعون على أن البداية الفعلية للرواية كانت مع رواية "ريح الجنوب" "لعبد الحميد بن هدوقة" "1971" والتي اعتبرها "عمر بن قينة" بمثابة «النشأة الجادة الناضجة لرواية فنية جزائرية حدثا وشخصيات وأسلوبا»[2]. وقد تمكنت الرواية الجزائرية بوضع حجر الأساس لإرتكازها رغم الإضطهادات و«رغم تأخر ظهورها إلى السبعينيات من تحقيق مكانة مرموقة داخل الفضاءين المغاربي والعربي».[3]

---

[1]- إدريس بودية، الرؤية والبيئة في روايات الطاهر وطار، حسب الطبيعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007م، ص 13.

[2]- عمر بن قنية، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وانواعا وقضايا وأعلاما) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- ط2، 2009، ص 201.

[3]- المرجع نفسه، ص 197 – 198.

كما أرجع "عبد الله الركيبي" أسباب تأخر الرواية الجزائرية فنيا، إلا أن هذا الفن «صعب يحتاج إلى تأصيل طويل»[1]، كما أنه يرى أن «الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة القومية أدبا عربيا اتجهوا إلى القصة القصيرة لأنها تعبر عن واقع الحياة اليومي خاصة أثناء الثورة»[2].

ولا ننسى انا الثورة احدثت تغييرا عميقا في الفرد، وبالتالي كان اسلوب القصة ملائما للتعبير عن بعض المواقف او اللحظات الآنية.

وبالعودة إلى البداية الفعلية للرواية الجزائرية مع عبد الحميد ابن هدوقة، لا يمكننا أن نغفل عن محاولاته في نشر البدور الفنية لها، إذ ألف أيضا قبل محاولته "أحمد رضا حوحو" رواية "غادة أم القرى"في نهاية الأربعينيات 1947م لكن هذا العمل لم يرقى إلى منزلة عمل روائي متكامل رغم أنه يشمل على بعض عناصر الرواية الحقيقية إلا أن هذه المحاولة تبقى لها أهميتها في مسيرة النثر الفني الجزائري.

وبهذا تعتبر رواية "ريح الجنوب" نقطة تحول مهمة من مراحل تطور الرواية الجزائرية لكن يؤكد "عبد الله الركيبي" أن رواية "ما لا تدروه الرياح" 1972م لمحمدعرعار قد ظهرت قبل "ريح الجنوب" لكن هذه الأخيرة سبقتها زمنيا في الكتابة وبالتالي "فريح الجنوب نقطة اختلاف حول اسبقيتها في الوجود.

وإلى جانب هذه الرواية ريح الجنوب لا يمكننا إغفال روايتي "اللاز" و"الزلزال" للطاهر وطار في نفس السنة، إذ تعد رواية "اللاز" من أكثر الروايات التي حظيت باهتمام النقاد في الأدب الجزائري من الجانبين الفني والمضموني، وقد أسهمت في التأسيس لاتجاهات عدة للكتابة الروائية في الجزائر، فهي من جانب تكاد تكون العمل الأول الذي مهد لظهور الرواية الوطنية المكتوبة بالعربية حيث عولت على ثورة التحرير مادة لها، وفي هذا

[1]- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1974، ص 198.
[2]- المرجع نفسه، ص 198.

الإتجاه سارت أعمال أخرى روائية من مثل: "نار ونور" 1975 لـ "عبد المالك مرتاض" "طيور في الظهيرة" 1976 لـ "مرزاق بطاش " الشمس تشرق للجميع" 1978 لـ "إسماعيل غموقات"[1].

وقد شهد هذا الفن الروائي في فترة السبعينات تطورا وتنوعا لم يعرف له مثيل من قبل فمع "بداية عقد السبعينات التي شهدت تغيرات قاعدية ديموقراطية كبيرة كانت الولادة الثانية والأكثر عمقا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية"[2].

وقد مثلت هذه الفترة المرحلة الفعلية التي شهدت القفزة الحقيقية للإنتاج الروائي في الجزائر وذلك من خلال أعمال مثل: "ريح الجنوب لابن هدوقة وما تدروه الرياح لمحمد عرعار" واللاز والزلزال" للطاهر وطار وآخرون ساهموا في انتشار الفن الروائي.

كما ارتبطت في هذه الفترة (السبعينات) بموضوع واحد هو "الثورة والخطاب السياسي" بما يجمعه في جعبته من إصلاحات اجتماعية، واقتصادية وثقافية والتي كانت تمثل عهد «الثورة الزراعية والتسيير الاشتراكي للمؤسسات والطب المجاني والتأمينات. ... فأصبح الكاتب بقاس بمدى اقترابه أو ابتعاده من الانجازات التي تحققت في بلاده»[3].

وقد شهدت هذه الفترة من تاريخ الأدب الجزائري ما لم تشهده الفترات السابقة على الإطلاق من إنجازات سواء من الناحية الإجتماعية أو السياسية أو الإقتصادية أو الثقافية وكذلك بتعداد للأعمال الروائية التي شهدت ميلادها هذه الفترة مثل «"نار ونور – دماء ودموع، الخنازير" لعبد الملك مرتاض، (... الحوات والقصر

[1]- لينا أحمد عوض، تجربة الطاهر وطار الروائية بين الايديولوجيات وجماليات الرواية، ص، 27-28

[2]- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 9.

[3]- المرجع نفسه، ص 10.

– عرس البغل، العشق والموت في الزمن الحراشي) للطاهر وطار. (قبل الزلزال) لعلاوة بوجادي (طيور في الظهيرة) لمرزاق بقطاش. (ريح الجنوب – نهاية الأمس – بان الصبح) لعبد الحميد بن هدوقة. (ما لا تدروه الرياح) الطموح لعبد العالي عرعار.(الشمس تشرق على الجميع – الأجسام المحمومة) لا سماعيل غموقات»[1].

كما شهد عقد الثمانينات ظهور عدد مهم من الروايات "ذات القيمة المحدودة فكريا وجماليا بسبب عدم امتلاك أصحابها عنصر الإدراك الضرورية لفهم طبية وتحويلات المجتمع الجزائري وإدراك خلفيات ما يعيشه من صراعات وتناقضات زمن الاستقلال إضافة إلى عدم توفرهم على شروط الوعي النظري لممارسة الروائية"[2]

وهذا ما تعكس روايات الانفجار 1984. هموم الزمن العلاقي1985 وبين الحمراء سنة 1986 والانهيار 1986، وزمن العشق والأخطار وخيرة والجبال لمحمد مفلاح، والأكواخ تحترق لمحمد زيتلي والضحية 1989 لمحمد مرتاض وغيرها...[3]

والملاحظ على هذه النصوص احتفاؤها الكثير بموضوع الثورة وتمجيدها إلى حد اعتبارها أسطورة، الأمر الذي أسهم في تكوين إيديولوجية السلطة المهيمنة على مختلف الروايات.[4]

ومع نهاية الثمانينيات أصبحت الرواية الجزائرية تعبر عن واقع آخر أكثر جرحا ومرارة حيث نقلت معانات الشعب الجزائري نتيجة الصراع الحاصل بسبب الأزمة الجزائرية المتمثلة في أحداث أكتوبر، والتي تجسدت في رواية "ذاكرة الجسد" 1993 لـ أحلام مستغانمي وبعدها كثرت الكتابات وتعددت الأسماء في مجال الإبداع الروائي.

---

[1]– مريم شعابنة، انزياح الرواية الجزائرية من اللغة إلى الايديولوجيا، رواية الورم لمحمد ساري انموذجا مذكرة ماستر كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الصديق بن يحي، جيجل، 2017

[2] – ينظر، بن جمعة بوشوشة، سردية التجريب وحداثة السردية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر تونس، ط1 2005م (ص، ص)(10، 11).

[3] – المرجع السابق، ص12.

[4] – المرجع نفسه، ص12.

لتأتي بعدها فترة " التسعينات التي كانت حافلة بالروايات التي تحاول أن تنشأ نص روائي يبحث عن التمييز الإبداعي والتي يطلق عليها البعض "العشرية السوداء وأغلب الروايات في هذه الفترة إتجهت إلى البنية الشكلية والدراسة الداخلية، أو فضل بعض الروائيين تناول موضوعات تدور حول العنف والحرب والفتنة.

حيث تقول الباحثة "آمنة بلعلي "يتقاطع روائيو التسعينات بالروائيين الكبار ضمن الأفق التاريخي الثوري، على الرغم من إدعاء البعض خروجهم عنه، بل رأينا هذا الأفق يتخذ مسلكا لتنشيط الفعالية السردية، حتى وإن أدمجوا أنفسهم ضمن فلسفة الاختلاف"[1]وذلك لأن مرحلة التسعينات أظهرت فعالية الرواية، تقول أيضا "بنيت خصوبة العطاء الروائي الذي يدل على وعي نظري في فهم التشكيل الإجتماعي وتشخيصه فنيا، فكانت الروايات كلها تعبيرا عن رؤية العالم لأنماط الوعي المتجلية خلال هذه المرحلة، ومهما كانت المنطلقات الإيديولوجية".[2]

وما نخلص إليه يكمن في أنّ الخطاب الروائي السياسي في الجزائر هو وليد الأفكار السياسية والوطنية، إذ واكبت الرواية الجزائرية جل التحولات السياسية الطارئة على المجتمع الجزائري في مراحله المختلفة، فتناولنا الرواية السياسية في الجزائر في فترة السبعينات وما تميزت به من مميزات مرورا بعقد الثمانينات، وصولا إلى عقد التسعينات الذي كان حافلا بمختلف التطورات والأحداث خصوصا في الميدانين الأمني والسياسي، أما المستوى الأدبي فقد تميز بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية وهو رواية المحنة أو الأزمة التي خاض فيها العديد من الروائيين الكبار أمثال واسيني الأعرج وأحلام مستغانمي ورشيد بوجدرة والطاهر وطار وبشير مفتي، وإلى جانب هؤلاء الكتاب المحترفين نجد بعد الكتاب الجدد الذين كانت لهم تجربة معتبرة في هذه النمط من الرواية ومنهم الروائي الجزائري سفيان زدادقة، زرياب بوقفة، بشير مفتي، ياسمينة صالح... الخ.

[1]- آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، دط، 2006، ص205.
[2]- المرجع السابق، ص207.

المبحث الثاني: اتجاهات الرواية:

من أهم أسباب بروز الاتجاه: الاصطلاحي، الواقعي، الرومانتيكي، الاختلافات التي كانت قائمة بين الأدباء في توجهاتهم الفكرية والجمالية وكذلك التناقضات التي أفرزتها الثورة الوطنية الجزائرية ولذلك استطاع الأدب الجزائري في الكثير من نماذجه تغطية منجزات هذه الثورة الوطنية.[1]

المطلب الأول: الاتجاه الاصطلاحي:

إن ظهور الفكر الإصطلاحي في الجزائر كان مرتبطا بظهور الحركة الدينية التي كانت تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة في وجه توسيع البرجوازية الفرنسية، وقد ظهر هذا الفكر في الأربعينيات من القرن العشرين إذ يعد من أبرز التيارات الحديثة على الساحة الوطنية إبان الإحتلال الفرنسي.

وعلى الرغم من إيجابيات هذا الإتجاه في الجزائر إلا أنه لم يضف شيئا جديدا إلى رصيد الرواية في الجزائر وذلك بتركيزه على التعامل مع الوقائع الجائزة التي تتضاءل فيها معاناة العمل الإبداعي كما أن الممارسة الأدبية الروائية في ظل الفكر الإصلاحي كشفت عن الحوار الثقافي مع الآخر الغربي من خلال عملية التبني للفن الروائي.

وقد أسس أيضا هذا الإتجاه للرواية المكتوبة باللغة العربية فمثلا: نجد "رضا حوحو" الذي عرض مبادئه المتسقة مع الطرح الإيديولوجي الإصلاحي وكذلك التجربة الروائية لعبد الحميد الشافعي في روايته "الطالب المنكوب" والتي تدور أحداثها حول قضية الإغتراب العلمي بالإضافة إلى رواية "صوت الغرام" لـ"محمد منبع" التي

[1]- ينظر، واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية الجزائرية، ص 128.

تتعرض إلى الجدل الإقتصادي داخل البنية الإقطاعية في إحدى قرى الشرق الجزائري المحافظة بالإضافة إلى روايات أخرى مثل رواية "نار ونور" لعبد المالك مرتاض وحورية لـ: "عبد العزيز بن عبد الحميد"»[1].

المطلب الثاني: الاتجاه الرومانتيكي

تعد الرومانتيكية منزعا فلسفيا وأدبيا ظهر على أنقاض المذهب الكلاسيكي ذي الصباغة البورجوازية فالرومانتيكية توجه جماهيري يمكننا أن نزعم أنها تجد تفسيرها الموضوعي لتيار جديد بدأ ينمو في الأدب الجزائري وفي الواقع الاجتماعي الذي كان يعيشه هذا البلد آنذاك.

والملاحظ على الحركة الرومانتيكية في أدبنا الجزائري أنها تأخذ مداها في الاتساع قبل أي ثورة ولكن بمجرد سقوط هذه الثورة إثر الهزيمة تتوقع على نفسها وتدخل لعبة البحث عن الاشياء التعبيرية المستهلكة وعلى الموضوعات الكلاسيكية التي تقف عاجزة عن مواجهة لعقد الأحداث ولقد سقط الخطاب الرومانتيكي بعد جلاء الاحتلال في كل المفارقات التي لازمت الوعي الرومانتيكي في رحلته التطورية عبر كافة الحقب التاريخية بدل أن يتناولوا موضوعات الساعة إذ مارسوا عملية هروب وعيهم أو محدوديتهم، ومن بين هذه الموضوعات موضوع الثورة[2]، فالرومانتيكية مذهب كلاسيكي وتيار جديد يعبر عن الواقع الاجتماعي في الجزائر منها موضوع الثورة.

المطلب الثالث: الاتجاه الواقعي

يعد هذا الإتجاه من أبرز الإتجاهات على الساحة الأدبية سواء العالمية منها وقد تجلت الواقعية في الأدب الجزائري في الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية حيث تناولت الحياة الجزائرية بكل تفاصيلها وأبعادها ونلمس ذلك

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص 128-129.

[2]- المرجع نفسه، ص 221، 226، 227 . 228

من خلال مثلا: «ابن الفقير» لمولود فرعون التي صور فيها نشأته الفقيرة ووصف حياة الفلاحين البائسة كما نلمحها في مؤلفات "محمد ديب" الذي يعمل محاسبا ونساجا ومعلما وصحافيا قبل أن يدخل ميدان الأدب وقد انعكست هذه التجارب والخبرات على أدب فأكسبته عمقا وجعلته أكثر التصاقا بالواقع[1]. أي أن هذا الإتجاه احتل مكانة في الساحة الأدبية فهو يعتبر عن كل ما هو واقع من حياة الجزائريين ورصده لكل تفاصيلها فهويتهم بالتعبير عن واقعية الحياة عند الجزائريين.

أ– الواقعية الاشتراكية:

لقد كان قيام الواقعية الاشتراكية كالأدب الجزائري نتيجة لظروف مختلفة، نتيجة لظروف إقتصادية وثقافية وتاريخية تعقدت فيما بينها لتعزز لنا أسلوب ومنهج الواقعية الاشتراكية وقد اكتسبت هذه بعده الانساني لتصبح النتاج الشرعي للتاريخ البشري في تطوره بكل ما يحمل هذا التطور من تناقضات.[2] أي أنها ظهرت نتيجة لظروف اقتصادية وثقافية وتاريخية عاشها المجتمع الجزائري.

ب– الواقعية الاقتصادية:

وينطوي تحت هذه الواقعية كل أدب نتخذ موقفا انتقاديا من الحياة ويكون هذا الموقف معبرا عن ضرورة للواقع والمجتمع، فالمتأمل في مسار الواقعية الانتقادية في الأدب الجزائري يجد بأنها تتجسد في كتابات "رضا حوحو" القصصية المكتوبة بالعربية إضافة إلى الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية والواقعية النقدية تستهدف تغير البنى الثقافية السائدة وتسعى إلى بناء واقع جديد وذلك يكون بالاعتماد على متطلبات ومعطيات محددة كبديل للواقع القائم بالفعل كما استطاعت أن تكشف جدور العلاقة الرأس مالية وتفضح عيوبها.

---

[1]– فتيحة بلامين، السبيل في الأدب، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ص 77.

[2]– واسيني الأعرج، الطاهر وطار، تجربة الكتابة الواقعية، ص 09.

ويمكن القول أن الواقعية الانتقادية تميزت بمجموعة من الخصائص والسمات فهي اتخذت توجها نقديا نعتبره ميدانا للبحث العلمي كما أنها لم تقبل المصادقة ورفضت الاعتراف في الخيال[1]. ومنه فالواقعية الانتقادية هي إنتقاد موقف من مواقف الحياة يكون معبرا عن واقع المجتمع الجزائري.

[1]- ينظر، واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية الجزائرية، ص 353-354.

المبحث الثالث: خصائص الخطاب الروائي:

" من أهم الخصائص التي يتميز بها الخطاب الروائي هي:

1- إن زمن الخطاب الروائي لا يقدم زمن القصة بنفس الترتيب الذي تحتويه الزمن الثاني، وحتى عندما يكون الترتيب منظرا ففي داخله نجد هيمنة المفارقات الزمنية بمختلف أنواعها، سواء أكانت ارجاعية أم إستباقية داخلية أم خارجية.

2- تبتدئ أغلب الروايات باستباق.

3- في زمن القصة نجد ترتيبه يصل إلى نقطة الاستباق الأول فتحنا به الخطاب ويتحقق الإشتياق تكتمل الدائرة لكنها سرعان ما تتفتح وهي تمشي باستمرار الوضع السابق لكن بشكل أكثر تبدلا مما كان عليه.

4- إن انفتاح الدائرة لا يعني التحول الإيجابي ولكن استمرار الماضي إنما شكل أكثر سوءا.

5- هيمنة المفارقات التي تتداخل فيها الأزمة تتوازى وهيمنة المشاهد المنتقل فيها من فضاء إلى فضاء، ومن زمن إلى آخر ومن حدث إلى شخصيته، تبرز بوضوح تكسير خطية زمن القصة وتقريب المسافة بين الأزمنة المعاشة المتخيلة والكامنة في الذاكرة والمحتملة أيضا (الإشباقات) انه زمن واحد، وإن كان متعددا شكليا يتعدد مؤشرات لزمن (سنوات – شهور...) وأزمنة حدوثه، ولكنه في وحدته تشكيل وفي تشكله يزداد تعقيدا.

6- لا يقدم لنا الزمن فقط لجريان أحداث وتقديمها، فمن خلال هذه السمات التي حاولنا تلخيصها نجد أن زمن الخطاب يشتغل على زمن القصة بشكل مختلف عما اعتدنا عليه في الروايات القديمة، ويصعب الزمن الإمساك به وتحديده بدقة خاصة في الروايات التي تنعم فيها المؤشرات الزمنية"[1]

[1]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير(دار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص167، 165، 164.

فخصائصه تكمن في كيفية ترتيب من القصة والهيمنة الاختلافات التي تشكل فيها الأزمنة إضافة إلى أن بدايتها تكون ممهدة باستباق وانتقال مشاهدها من فضاء إلى فضاء، ومن زمن إلى آخر ومن حدث إلى شخصية.

الفصل الثاني:

الهواجس النفسية

تمهيد

لقد سعت المقاربات الأدبية المعتمدة في المجال الروائي إلى دراسته كل ما يتعلق بالرواية من حيث مرتكزاتها الفنية، ووظيفتها الاجتماعية وعلاقتها بالجانب النفسي.

فالتداخل الواضح بين الأدب وعلم النفس ينبني على شيء أساسي يتعلق بمحاولة التقرب من طبيعة الحياة الداخلية للشخصيات الروائية كون هذه الأخيرة تقف وراء بناء وتحريك الأحداث وجعلها تنمو وتتصاعد تبعا لطبيعة الحدث نفسه ووفق ما يقتضيه الجانب الفني للرواية.

وقد غدت في العديد من الأحيان الدراسات النفسية نموذجا علميا واضحا يهدف إلى قراءة الحياة الشعورية واللاشعورية للكاتب في ضوء إبداعه المقدم وفي الحقيقة إن إنتاج المعرفة العلمية الخاصة بالنص الروائي يكون أكثر فعالية في حال التركيز على طبيعة الحالات الشعورية واللاشعورية للشخصية الروائية في ضوء علاقاتها بالمتخيل السردي[1]

أي أن التحليل النفسي يمثل أداة منهجية فاعلة تهتم بقسط وافر في إنتاج المزيد من المعارف المتعلقة بالنص الروائي مع أن المسائل في هذه الحال مرتبطة على وجه التقدير بطبيعة النماذج الروائية المقدمة والتي من شأنها الاستجابة لمتطلبات منهج التحليل النفسي، «فكشوفات التحليل النفسي مجال هام يمكن أن يقدم في خدمة النقد الأدبي بحكم أن هذا الأخير في تعدد اختصاصاته ومجالات المقاربة المنهجية وعليه فإن التأرجح نحو معرف سيرة الكاتب أو ما يتعلق بجوانب حياته الخاصة يبدو إجراء محدود الأهمية بحكم أن طبيعة العمل الروائي تستدعي العديد من الشخصيات التي من شأنها النهوض بتطوير الأحداث الروائية والوصول إلى نهايتها وعلى

[1]- ينظر فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة، علم الكتب الحديث، إربد الأردن – ط1، 1431-2010، ص 231.

الرغم من نسبة النهاية وما يتعلق بنمط»[1] فنخلص في الأخير إلى أن التحليل النفسي يخدم النقد الأدبي في شتى اختصاصاته ومجالاته المنهجية، فمعرفة شخصية الكاتب تقتضي معرفة العديد من الشخصيات الروائية.

"إن خطأ النزعة التحليلية النفسية التطبيقية الخالصة في مضمار النقد الأدبي يكمن في أنها تتصور أن الأعمال الفنية شأنها شأن الأحلام على سبيل المثال: هي من إنتاج اللاشعور، والحال أنه إذا كان العمل الفني يمنح بلا جدال من خزان اللاشعور عند الفنان فإنه بعكس الحلم وليس نتاجا لا شعوريا للاشعور"[2]. ذلك أن كل ما يتعلق بالباطن هو مادة خام في طبيعتها الأولية مع أن هذه الطبيعة لا تحافظ على نسقها المعرف سابقا في حال شغلها فنيا وعليه فإنه يتطلب الفهم الجيد بأن الباطن المعبر عنه فنيا هو باطن تم شغله مسبقا، لذلك من الممكن أن تتغير بنيته أو طابعه التشكيلي في إطار المتخيل السردي الذي يخضع في الكثير من الحالات إلى المقاييس الجمالية الفنية، والمرتبطة بطابعها الأساسي الذي يتعين في العلاقة مع الآخرين الذين يتلقون العمل الفني المنجز، وفي حقيقة الأمر فإن معيار الجمالية يمثل رهانا فعليا لدى المبدع، إلا أن الاشكالية لا تتوقف عند حدود الجمالية كرهان فحسب وإنما تتعدى هذه الاشكالية إلى إشكالات أخرى متعلقة بطبيعة مقاربة العمل الأدبي. حيث أن الدراسات النفسية في العديد من الأحيان تسعى إلى مقاربة الأعمال الأدبية انطلاقا من ثنائية الصحة والمرض. على الرغم من تشعب دلالات المصطلح المتعلق بهذه الثنائية، كما أن التلقي الايجابي للأعمال الأدبية من لدن الجمهور هو بمثابة التعويض المعنوي للكاتب عن المعاناة التي تساوره أو عن كل ما ينجر عنه من عامل تعرية الذات والتي تعد من قبيل الجرأة والجسارة باعتبارها تحقق طموح العمل الأدبي إلى المزيد من المصداقية والقبول[3].

[1]- المرجع السابق، ص 231.

[2]- المرجع نفسه، ص 232.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص 232.

وقد تم التركيز في هذا الفصل على دراسة مجموعة من النقاط الهامة في مجال التحليل النفسي والتي سعت الرواية المغربية إلى تجسيدها وفق ما تمليه السياقات، وقد تم الاقتصار على ما يلي:

أ- العاطفة وتجربة الحب.

ب- تأثير اللاشعور وعقدة الكبث.

ج- هاجس الخوف وشعور الحزن.

والرواية المغربية لا تمثل نصا خاليا من عوامل السياقات النفسية التي تصل إلى حد التناقض فيما بينها، إنما اشتملت على العديد من الظواهر المتعلقة بالاتجاه النفسي، كما أن تتبع المقولات الأساسية للتحليل النفسي باستطاعته تقديم رؤى واضحة حول جملة العوامل السياقية التي تكاثفت في ظل معطيات الجانب النفسي لإعطاء الرواية المغاربية أبعادها الجمالية من منطلقات الحداثة الروائية المكرسة لأبعاد التحليل النفسي في الابداع الفني.[1]

[1]-المرجع السابق ص233-234

المبحث الأول: العاطفة وتجربة الحب

المطلب الأول: العاطفة

أولا – تعريف العاطفة

أ– لغة:

إن الأصل لكلمة العاطفة حسب الخليل بن أحمد الفراهدي يعود إلى عطف أي جاءت، جاءت من عطف: عطف الشيء: أملته. وانعطف الشيء، انهاج، وعطفت عليه: انصرفت وعطفت رأس الخشبة أي لويت وقوله: «ثاني عطفه»[الحج 9] أي لاوى عنقه، وهن عواطف، أي ثوان الأعناق، وثن فلان على عطفه: إذا أعرض عنك وجفاك، وتعطف على دى رحم، في الصلة والبر، وعطف الله فلانا عطفا[1].

والعاطفة بمعنى أخر هي: الاشفاق والميل والحنو، ومعاني العطف وتصريفاتها لا ترتبط ارتباطا قويا بما هو سائد اليوم عند الناس من معنى العاطفة، ولكن ذهابها تعلق لغوي لا يعرف.

ب– إصطلاحا:

العاطفة عبارة عن شعور أليم أو سار، ثابت أو مستقر في أعماق النفس حول شيء معين، كلما رأته العين أو سمعت به الأذن أو خطر على البال صاحبه ذلك الشعور السار أو المؤلم« والعاطفةلها معان كثيرة حسب علماء اللغة والدين حاولوا إثبات ذلك من خلال ما جاء في كتاب لويس أن معنى العاطفة يقصد به الشفقة»، بالاضافة

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، المجلد الرابع، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص 172.

إلى ابراهيم أنس الذي يقول أن العاطفة هي «أسباب القرابة أو الصلة من جهد الولاء والشفقة، وفي العلم النفسي استعداد نفس بنوع من الشعور بانفعالات معينة والقيام بسلوك خاص وحنان فكرة أو شيء»[1].

فالعاطفة هي سبب التقارب بين الأفراد وتكوين العلاقة الطيبة فيما بينهما بالإضافة إلى أنها عبارة عن مجموعة من الانفعالات وهذا ما يراه أحمد نزار فيقول إن العاطفة هي «انفعالات نفسية تنشأ في الانسان في حالة السرور أو الحب أو الكره أو الغضب، وهذا الحالات تؤثر في كيانه كله»[2]. وهي حسبه مجرد انفعالات وأحاسيس نفسية تختلج صدر الانسان.

أما جير عبد النور فالعاطفة حسبه كما يلي:

1- حالة شعورية: في مقابل التصور الذي يحدث الاحساس، مثال ذلك: أحس بلون الأحمر يبعث في عاطفة الانشراح وعلى العموم العاطفة هي كل حالة انفعالية، في مقابل الحالة العقلية والفاعلة يقول جبير عبد النور حول العاطفة.

2- مشاعر وميول إيثارية في مقابل الأنانية: «وهي كل ما يدل على أنواع المشاعر الغير عابرة فإنها تطلق عادة في المصطلحات الشائعة على الحب والصداقة والعطف والاعجاب، وكل الأحاسيس النابعة من أعماق الانسان المنبعثة من جذوره الخيرة»[3] ونخلص في الأخير إلى أن العاطفة عبارة عن مشاعر وانفعالات نفسية نابعة من أعماق الانسان.

---

[1]- لويس معلوم، المنجد في اللغة العربية "بيروت، دار المشرق" مجهول السنة ص 513.

[2]- ابراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ج2، ط2، ص 608.

[3]- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، بيروت -دار العلم، ص 167 – 168.

تعريف العاطفة بشكل عام ودورها في حياة الانسان:

العاطفة هي حالة ذهنية تظهر في الجهاز العصبي وتعتبر «العواطف مجموعة الأحاسيس والمشاعر التي يختبرها الفرد وكلمة عواطف "Emotion" مشتقة من اللفظ اللاتيني "Enovare" والتي تعني حرفيا: يحرك شيء يؤثر فيه... يثيرTomove فالعواطف تؤثر في الشخص وتدفعه نحو التحرك واتخاذ موقف»[1].

فالعواطف تستطيع أن تقودك كما تستطيع أنت أيضا أن تقودها وثي كالتيار الكهربائي عبارة عن وسيلة خادمة لتشغيل وتحريك الأشياء، بل وربما أيضا خلق بعض الأشياء، ولكن قد يصاب البعض بصدمة كهربائية، كما قد يعد أيضا ما بين "عجز" كهربائي.

فالعواطف هي وظيفة طبيعية خلقها الله فينا كما العقل والارادة لكي يعملوا معا نحو دفع الانسان إلى التحرك واتخاذ مواقف معينة في الحياة.

وقد عرف "وليام جيمس" (وهو أحد رواد علم النفس) العواطف على أنها:

«ردة فعل إنعكاسية "Reflexes" تنجم عن مؤثر ذو معنى رمزي لدى الفرد»[2]

أي أنها مؤثر ينجم عن حدث نفسي معين يكون محيط بالفرد حيث يتمثل هذا الحدث عادة في الأنشطة المرتبطة بكيانات حية أو ظواهر طبيعية تهدد قدرة الفرد على التحكم في محيطه.

[1]- www.arabic.christian-counseling.com

[2]- المرجع نفسه.

ثانيا– أنواع العاطفة:

كما ذكر في كتاب أصول النقد الأدبي أن العاطفة تنقسم إلى قسمين، العواطف الشخصية والعواطف الألمية.

1–العواطف الشخصية self regarding emotions

وهي العواطف التي تحملنا على الدأب وراء صالحنا الخاص كالجشع أو الفرار من الميدان أن الانتقام أو المدح»[1]. فهذه ليست من الانفعالات الأدبية السامية التي يحرص عليها النقد لأنها في دائرة صنفية هي دائرة المنتفع ثم تحمل النفس على الهوان.

2–العواطف الألمية: Painful emotions

«وهي تثير آلام القراء وتشعرهم بما ينغص حياتهم ويعكر صفوها كالحسد والسخط واليأس والظلم ونحوها، لأن وظيفة الأدب الرفيع يغلب عليها التهذيب النفسي وإذاعة السرور لا البؤس والتبرم»[2]

ومن خلال هذا القول لأحمد الشايب نستخلص أن العواطف الألمية تخص انفعالات الانسان والتي تنتج آلام أي تعكر الحالة المزاجية من الفرح إلى الألم.

ولقد قسم "كامل محمد عويضة" العاطفة إلى نوعان: عاطفة الحب وعاطفة الغضب، وفي حياة الشخصية عاطفة غالبة تؤثر على سلوكه كما نجد بعض الهواة، وهذه العاطفة العالية وجهت زعيما مثل "مصطفى كامل" نحو خدمة وطنه، وعندما تتبلور شخصية الفرد وتنضج وتشعر باستقلالها تكون قد تكونت فيها عاطفة اعتبار الذات أي أن هذه الأخيرة تعمل على تغيير سلوك الفرد ويقول كامل «العاطفة هي التي تحملنا على احترام النفس

[1]– أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1964، ص 181.

[2]– المرجع نفسه، ص 183.

والتمسك بالكرمة وعمل الواجب لأنه يرضي ضميرنا، وفي اهماله احتقار لذاتنا، أم عاطفة الغضب تثير ألم القراء وبشيء يؤلم ويحزن نفسه في حالة سار فيها الشخص»[1].

وبذلك تكون العاطفة هي التي تجعل سلوك الفرد متغيرا سواء في حالة الحزن أو الغضب وهذه الأخيرة تتكون عند حدوث أي انفعال أو حالة نفسية أو سلوك يغير صفو الفرد ويجعله في حالة غضب.

المطلب الثاني:تجربة الحب

يعتبر الحب ميل إلى الشيء السار والغرض منه إرضاء الحاجات المادية والروحية وهو علاقة تجذب شخص نحو شخص آخر وله معان عديدة أبانت عنها لغتنا العربية وهذا ما جاء في لسان العرب لابن منظور.

أولا– تعريف الحب:

أ– لغة:

«نقيض البغض، والحب: الوداد والمحبة وكذلك الحب بالكسر، وحكي عن خالد بن نصلة: ما هذا الحب الطارق؟

أحبه: فهو محب، وهو محبوب على غير قياس هذا الأكثر، وقد قبل محب على القياس قال الأزهري: وقد جاء المحب شاذا في الشعر، قال "عنترة[الكامل][ش 361/8] ولقد نزلت، فلا تظني غيره، مني ومنزلة "المحب

[1]– كامل محمد عويضة، علم النفس الشخصية، بيروت، دار الكتب العلمية، مجهول السنة ص 139.

المكرم"، وحكي الأزهري عن الفراء قال وحببته، لغة: قال غيره، وكرة بعضهم حببه، وأنكر أنا يكون هذا البيت لفصيح وهو قول "غيلان بن شجاع النهشلي": [الطويل][شا 5) 162]»[1].

ومن التعريفات السابقة نلمس في الأخير إلى أن مفردة الحب تقابل الوداد والمحبة، الألفة.

ب- إصطلاحا:

الحب هو شعور بالانجذاب والاعجاب نحو شخص ما أو شيء ما، وقد ينظر للحب على أنه كيمياء متبادلة بين اثنين، ومن المعروف أن الجسم يفرز هرمون الأوكسيتوسين المعروف بهرمون المحبين أثناء اللقاء بينهم، وقد تم تعريف كلمة الحب لغويا على أنها تضم معاني الغرام والعلة، وبدور النبات. ويوجد تشابه بين المعاني الثلاث على الرغم من تباعدها ظاهريا، فكثير ما يشبهون الحب بالداء أو العلة، وكثيرا أيضا ما يشبه المحبون الحب ببدور النباتات.[2]

المطلب الثالث: العاطفة وتجربة الحب في رواية عائد إلى قبري لزكية علال

تعتبر العاطفة جزءا من الحب، وكل منهما مكملا للآخر، ولا يمكن أن يكون هناك حب بدون عواطف ومشاعر..، وكذلك لا يمكن أن تستمر العاطفة بدون وجود حب حقيقي، فالعاطفة هي انفعال متكرر نحو شخص ما وهي الانجذاب النفسي الذي يشعر به الإنسان اتجاه إنسان آخر، وهي حالة شعورية تندفع من النفس البشرية إثر انفعالها لحدث تراه أو مشهد ما يؤثر فيها، أما الحب فيعتبر كذلك شعورا بالانجذاب والاعجاب تجاه شخص أو أي شيء ما، فالعاطفة إذن هي طاقة الحب.

[1]- ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص 274.

[2]- الموقع الالكتروني، تعريف الحب، http.www.mawdoo3.com/ D8/AAD8

ونجد أن الرواية الجزائرية المعاصرة تتناول مسألة الحب والعاطفة في كثير من الروايات، فقد ورد في رواية "عائد إلى قبري" لزكية علال نماذج وصور كثير لعاطفة الحب إذ نجد مثلا في قولها: «الآن أقف على قبر أبي.... فعندما ننزل الحبيب إلى قبره ونهيل عليه التراب ننظر إلى المساحة التي تجاوره ونوصي أن ندفن إلى جانبه»[1]«وتضيف أيضا عندما تقف على قبر من تحب تفقد المنطق وتجتاحك رغبة مجنونة..... لتكشف عن وجه حبيبك فقط»[2].

فزكية علال هنا تصور لنا مدى حب يوسف لأبيه الذي فقده حيث وجده مقتول داخل كيس أسود، فهو من شدة حبه له وتعلقه الكبير به كان يقف على قبره ويتمنى أن يدفن بجانبه.

وفي مثال آخر تقول: وهج القصيدة الأولى يغزوني اللحظة. ... ينشر بعض الدفء في فضاءاتي الباردة التي كانت شهقة عبرت بها عن حبي الأول لزميلتي التي كان الصمت يوشحها بجماله الأخاذ.....»[3] وقولها: «شجعني هذا الدفء الذي استعدتيه على أن أكتب لها قصائد أخرى أفرغ فيها كل ما أكنه لها من حب. .... حرصت على أن يبقى حبي لها سرا كتمته حتى عن أقرب أصدقائي لأكثر من عام، لأنني اعتبرت علاقتي بها مشروع حلم. .... فلم تكن فيروز ترد على قصائدي الغزلية وكلمات الحب التي أنثرها على جوانب الرسائل يغير ابتسامة تتسع يوما بعد آخر....»[4].

[1]- زكية علال، عائد إلى قبري، دار الأوطان، ط1، 2015، ص 11.
[2]- المصدر نفسه، ص 9.
[3]- المصدر نفسه، ص 18.
[4]- المصدر نفسه، ص 19.

هنا تتجلى عاطفة الحب التي يشعر بها يوسف تجاه فيروز والتي أعجب بها، فكان يكتب لها قصائد غزلية، فهو لم يستطع أن يقف أمامها ويعتبر لها عن حبه، فكان يراقبها من بعيد ويلاحقها عندما تخرج من الثانوية ومن شدة خجله لم يستطع البوح لها بحبه.

وتصور لنا زكية علال في هذه الرواية أيضا حب يوسف لها من حيث قالتَ : «أمي. ... وحدها تمنحني من مشاعر ما يكفي لقلبي المنكسر كي تتجدد بها الحياة ويعود إلى سابق عنفوانه....»[1]. وقولها: « لم أبك وأنا أودع إمرأة عجت أحلامي وصنعت تاريخي بوقوفها إلى جانبي حين تعتري وإنكساري.... إمرأة أحسست في لحظة ما أنها تكبر في قلبي، وعندما لم تعد تتسع لها من مساحة القلب خرجت إلى كل فضاءاتي وحاصرتني بحب كبير جعلها بحجم الوطن الذي لم تستطع أن نغادره.... كنت ألوح لها بيدي مودعا وأنا أقف عند آخر درج فمن سلم الطائرة كأنني بطل خارج للتو من حكاية أسطورية يحق فيها أن يهجر حبيبته وهو على ثقة أنها سوف تظل تغزل له رداء إلى حين غانما.....»[2]، فيوسف يحب أمه كثيرا لدرجة أنه لم يستطع أن يتركها ويهجرها حيث شبهها بالوطن الذي لا نستطيع أن نغادر تربته وذلك لتعلقه الكبير بها وعاطفة الحب التي تجذبه إليها، رغم أن الظروف هي التي فرضت عليه الالتحاق بالجامعة، فقد ذهب وهو يحن لأمه ويفتقدها كثيرا.

وفي هذه الرواية أيضا نماذج كثيرة صورتها لنا زكية علال عن حب يوسف بطل هذه الرواية لإنعام وإعجابه بسعاد، فنجدها تقول في روايتها: «وفي العام الأخير من دراستي..... تعرفت على سعاد..... لقائي بها غير خارطة أحلامي وجعلني أعيد ترتيب حدود رغباتي..... معها عرفت كيف تتسرب الألفة داخل الشرايين لتتحول في غفلة مني إلى حب دافئ نغلغل في أعماقي.....»[3]، وقولها: «حبي لسعاد وارتباطي بها جعلني أغير نظرتي

[1]- المصدر السابق، ص 23.

[2]- المصدر نفسه، ص 34.

[3]- المصدر نفسه، ص 67.

للمرأة، علمني حبها أن المرأة ليست مجرد قصيدة نعزلها في أوقات فراغنا علمني حبها أن هناك من النساء من لا ترى في الرجل فراغا تدخله بفستان أبيض.....»[1] وتضيف أيضا: «ولأول مرة في تاريخ حبنا اقترب منها دون أن أترك مسافة أمان وأبحر في عمق عينيها بلا مجاديف لأقول لها بجرأة أعصرها في حديثي معها وكأني أردت أن أحصن قلبها في غيابي... أحبك....»[2] فهذه كلها تدل على حب يوسف لسعاد التي التقاها في الجامعة حيث كان يصادفها في المكتبة بين الحين والآخر فشعر بعواطف الحب اتجاهها، وأحبها كثيرا لأخلاقها العالية فهي المرأة الوحيدة التي اعترف لها بحبه وكانت له الجرأة الكافية للاقتراب منها وبوجه لها بالحب الذي يحسسه اتجاهها.

أما إعجابه بإنعام فيتجلى ذلك في مثال آخر يقول فيه: «إنعام أول وجه صافحني وابتسم لنظراتي الحائرة في بهو الفندق الذي كان يعج بالناس من مختلف البلدان والأجناس ساعتها لم أكن أعلم أني قابلت إمرأة بحجم الأرض... أحببتها. ....»[3]. وقوله: «بالله. .... كم هي جميلة وشامخة بجسد ممتلئ من غير بداية»[4] فيوسف هنا يتحدث عن انعدام تلك الفتاة المصرية التي كانت أول وجه التقى به في الفندق عند تنقله للعمل لصحفي، حيث شعر بإعجاب كثير لجمالها وشيئا فشيئا شعر بعواطف اتجاهها حيث كان يشعر معها بالارتياح والقبول ويتكرر هذا الشعور كلما التقى بها أي شعوره بالانتماء معها.

وفي الختام يمكننا القول أن هذه الرواية أعطت لنا صور كثيرة عن عاطفة الحب الذي يعد ظاهرة وتجربة ذاتية حيث أنه احتل مكانة مرموقة في ديوان الأدب العربي فلج به الشعراء زمنا طويلا وانتشر فيه القول من خلال رواة الأخبار وقصص العشاق وأصحاب النوادر.

---

[1]- المصدر السابق، ص 73.

[2]- المصدر نفسه، ص 168.

[3]- المصدر نفسه، ص 183.

[4]- المصدر نفسه، ص 196.

المبحث الثاني: تأثير اللاشعور وعقدة الكبت

المطلب الأول: اللاشعور

يسجل مفهوم اللاشعور حضوره الفلسفي في أعمال كبار الفلاسفة الميتافيزيقيين الألمان ولا سيما في المرحلة ما بعد الكانطية ولا سيما عند شيلنغ وهيغل وشوبنهور«ويمكن لنا أن نحدد اتجاهين فلسفيين أساسيين يعكسان صورة اللاشعورية وهما اتجاه كارل غوستاف كاروس واتجاه هارتمان وكلاهما ينطوي على طابع ميثا فزيائي فكلا هما ينطلق من نقطة مشتركة وهي أن العالم والطبيعة نتاج تطور مبدأ واحد مثال المطلق عند شيلنغ والفكرة عند هيغل والإرادة عند شوبنهور، ومن أجل الارتفاع بمفهوم اللاشعور (Inconqcient) إلى مستوى هذه المبدئية يبني كل من كاروس، وهارتمان افتراضات عملية بالغة الخصوبة»[1]

وبهذا فاللاشعور يدل على مجموع الحوادث التي ليس لدينا شعور بها أيضا كل مكتسباتنا الشخصية وأفكارنا وادراك اتنا وذكرياتنا الضائعة ويعرفه "فرويد بأنه عبارة عن سيرورة دينامية آليتها الأساسية هي النزاع، نزاع بين القوى «الميول، رغبات) ونزاع مع المقتضيات الاجتماعية والدينية»[2].

وفي تعريف آخر لفرويد«ذلك الشيء الذي يقتصر على المكبوتات والذي لا يمكنه أن يصبح شعوريا إلا عن طرائق خاصة تستخدمها مدرسة التحليل النفسي لارتياد الحياة النفسية اللاشعورية»[3]

---

[1]- ينظر، جان كلود فيلو، بحث في خفايا النفس الانسانية، تر. د علي أسعد وطفة، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1 1996، ص 26.

[2]- ينظر، نوير سلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس، تر. وحيد أسعد، منشورات دار الثقافة، سوريا، ط4، 2001، ج4، ص 125.

[3]- عبد الرحمن الوافي، قاموس مصطلحات علم النفس، دار الرسالة، الجزائر، دط، ص 39.

وبهذا فإن الحياة اللاشعورية تمثل الجانب الأكثر حساسية في الإنسان من منطلق كون اللاشعور كل ما يتعلق بالخصوصيات البشرية التي لا تظهر إلا من خلال أساليب البوح الغير مقصود كالحلم، وزلات اللسان. ... أو أثناء التنويم المغناطيسي الذي يعد أحد الأساليب العامة لعلاج العصابيين.

وإن معرفة الحياة اللاشعورية للإنسان ذات القيمة الجوهرية، وفي هذه الحال يكون اللاشعور أحد المجالات الهامة التي تخفي أسرار بالغة الأهمية وبالتقرب منها ممكن معرفة كل ما يتعلق بالنقاط الجوهرية للشخصية، ويحدد سجموند فرويد «منهجا واضحا في دراسة النفس البشرية، الأول هو تحديد العمليات النفسية في مناطق ثلاثة هي: الهو، الأنا، الأنا الأعلى والثاني هو التمييز بين أحوال معينة للجهاز النفسي، نسميها الكيفيات النفسية هي: الشعور ما قبل اللاشعور»[1]

وعليه فاللاشعور من أنواع النشاط النفسي يتحتم أن يكون قبل الشعورية أي قبل أن تصبح شعورية.

«ويقصد أيضا باللاشعور unconscious حسب علماء النفس، بخاصة أصحاب مدرسة التحليل النفسي مجموعة العوامل والعمليات والدوافع التي تؤثر في سلوك الفرد وفي تفكيره ومشاعره دون أن يكون شاعرا بها أو بكيفية حدوثها وتأثيرها.

وهذا ما أكده فرويد بعدما افترض أن هناك نشاطا نفسيا لا شعوريا هو المسبب لبعض الاضطرابات والأمراض الهستيرية، واستطاع أن يؤكد ذلك تجريبيا حيث لاحظ أن أعراض الاضطرابات الهستيرية يمكن إحداثها وإزالتها عن طريق الإيحاء التنويمي، ويستدل عن ذلك بأن الكثير من أعمالنا وميولنا لا تتمتع بشهادة الشعور، وما الأحلام والهفوات وزلات اللسان إلا مصادرا لا تعرف أسبابها، حيث أن تجاربنا الشخصية تبين أن هناك أفكار

[1]– فتحي بوخالفة، "التجربة الروائية المغاربية"، دراسة في الفعاليات النصية وآليات القراءة"، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، س 2010، ص 234.

تأتينا دون معرفة مصدرها، ثم إن هناك نتاجا فكرية توصلنا إليها دون أن نعرف كيف تم إعدادها حتى نفهم كل هذه الأمور يقول فرويد: [لابد أن نربطها باللاشعور والاعتراف بأن هناك حياة شعورية]».[1]

وبهذا فاللاشعور يؤثر في النشاط النفسي البشري كما أنه يرتبط بالشعور وهذا ما أكده فرويد من خلال وضع اللمسات الحقيقية لهذا الجزء من الوعي البشري وأعطاه المؤثر الأساسي في كل تصرفاتنا اليومية بشكل غير محسوس واللاشعور الفرويدي هو حجر الأساس لنظرية التحليل النفسي والتي تعتبر منهج في العلاج النفسي وفي معادلة التداعي الحر للاشعور الذي تخضع كل تصرفاتنا له. ومن أهم نتائج دراسة اللاشعور من الناحية النفسية أن الإنسان كائن عضوي تؤثر فيه عوامل داخلية نفسية وعوامل خارجية اجتماعية لها دور أساسي في تكوين شخصية الإنسان.

المطلب الثاني:الكبت

أولا– تعريف الكبت

أ– لغة:

جاء في كتاب العين للخليل أحمد الفراهدي أن الكبت، مشتقة من كبت أي:

صدع الشيء لوجهه، ويقال كبتهم الله فانكبتوا أي لم يظفروا بخير، وكبت الله أعداءك أي غاظهم وأذلهم والاسم الكبات[2]. فاكبت أحد أنواع اللاشعور الذي يستبعد الأن وهو الاحساس المؤلم الذي يحبسه الانسان بداخله.

[1]– الدكتور عبد الرحمن الوافي، قاموس مصطلحات علم النفس، دار الرسالة، الجزائر، د س، ص 131.

[2]– الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين، تح. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، المجلد الرابع، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 4.

ب/ اصطلاحا:

هو عملية غير شعورية تستبعد الأنا بموجبها الحفزات الغريزية والأفكار والصراعات والذكريات المؤلمة والمثيرة للقلق والرغبات المستكرهة من مستوى الوعي إلى مستوى اللاوعي لأن هذه الأشياء إذا بقيت في شعور الفرد مثلث له تهديدا لذاته وأشعرته بالذنب والألم والتوتر لأنها غير مقبولة اجتماعيا ولهذا تقوم الأنا بنقلها من الشعور إلى غير الشعور وتمنعها من التعبير عن نفسها بشكل مباشر وصريح وذلك حماية للنفس مما يؤلمها ويحقرها وخفضا للتوتر والقلق الذي تعانيه * ويقول "بيير داكو" في كتابه: «انتصارات مذهلة في علم النفس الحديث: "الكبت وهو ظاهرة تحت شعورية تعمل على الدافع ذاته الذي يكبت قبل الوصول للشعور..... إنه أشبه بالفقاعة التي تظهر فوق سطح الماء (الشعور) وهذه الدلالة قد تكون بمنتهى التنوع فهي تندرج في بعض الميناميات حتى تصل إلى الأفكار الثابتة المخيفة»[1]

أي أنها حالة وظاهرة لا شعورية تستبعد الأفكار الغير مقبولة في العقل وتحبسه في النفس البشرية.

«والكبت أيضا هو استبعاد الدوافع والخبرات المؤلمة المخيفة التي تثير في النفس الشعور بالذنب أو النقص أو القلق، وإكراهها على التراجع والبقاء في ذلك الجانب الخفي المظلم من النفس الذي يسمى اللاشعور، ويتضمن الكبت الوقوف أمام الدوافع التي اصبحت لا شعورية ومنعها من اقتحام الشعور، أي منعها من أن تصبح شعورية مرة أخرى، والكبت لا يقتصر فقط على الدوافع وحدها بل يتناول أيضا الصدمات الانفعالية والذكريات الأليمة والأفكار والأحداث التي تثير القلق في النفس، فهو آلية دفاعية ساذجة من حيل خفض التوتر والقلق»[2]

[1]- عبد المطلب أمين القريطي، في الصحة النفسية، " دار الفكر العربي، القاهرة، دط، وس، 1418

[2]- عبد الرحمن الوافي، قاموس مصطلحات علم النفس، دار الرسالة، الجزائر، دط، دس، ص 129.

فالكبت إذن هو استبعاد الأنا والخبرات المؤلمة وإجبارها على البقاء في اللاشعور أو العقل الباطن كي يتمكن من نسيانها.

المطلب الثالث: تأثير اللاشعور وعقدة الكبت في رواية عائد إلى قبري لزكية علال

تقترب في الكثير من الأحيان المفاهيم المتعلقة باللاشعور من المفاهيم الخاصة بنظرية الكبت، إذ أن الكبت يعد نوعا من أنواع اللاشعور، فيصير نموذجا نوعيا للحالة اللاشعورية للفرد وقد أكد سيغموند فرويد هذا الرأي بقوله: «إنما نستمد إذن مفهومنا عن اللاشعور من نظرية الكبت، ونعتبر المكبوت كنموذج للاشعور ونحن نرى مع ذلك أنه يوجد نوعان من اللاشعور، اللاشعور الذي يكون كتاما لكنه يستطيع أن يصبح شعوريا واللاشعور المكبوت الذي لا يستطيع بذاته وبدون كثير من العناء أن يصبح شعوريا..... فإننا نسميه"قبل شعوريا". أما لفظ المكبوت فإننا نبقيه للمكبوت اللاشعوري بالمعنى الدينامي، فعندنا الآن إذن ثلاثة ألفاظ: الشعور وما قبل الشعور واللاشعور ولم تعد هذه الألفاظ وصفية بحتة في معناها ومن المفروض أن اللاشعور أقرب جدا إلى ما قبل الشعور منه إلى اللاشعور. وبما أننا سمينا اللاشعور نفسيا فإننا بدور أدنى تردد سنسمي ما قبل الشعور الكامن نفسيا أيضا»[1] هنا يربط اللاشعور بالكبت حيث يصنف الحياة النفسية إلى أصناف تتمثل في: الشعور، ما قبل الشعور، اللاشعور، ويقر بأن اللاشعور لا يفهم إلا من خلال نظرية الكبت. إذ يعتبر الكبت إحدى الوسائل الهامة التي باستطاعتها فهم اللاشعور: فالكبت عملية غير شعورية تستبعد الأنا ويلجأ إليها الفرد لكي يستعد أفكارا غير مقبولة أو خبرات مؤلمة ويجبرها على البقاء في اللاشعور لكي يتمكن من نسيانها.

[1]- فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغربية دراسة في الفعاليات النفسية وآليات القراءة، علم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 250.

وتعرض رواية "عائد إلى قبري" لزكية علال" نماذج لضوابط الكبت وتأثير اللاشعور إذ يتجسد مثلا في قولها: «لم أكن أرغب أن يراني أحد وأنا أسحب خبرتي ومنتهى انكساري برجل واحد. ...»[1] فزكية علال هنا تجسد لنا مدى كبت يوسف بطل هذه الرواية للحالة الشعورية التي كان يحسها بسبب فقدان قدمه فهو لم يكن يريد أن يراه أحد وهو حزين بسبب بتر ساقه أو فقدانه لها إذ أن يخفي حنيته وانكساره بداخله فهذه حالة أو عملية غير شعورية.

وفي مثال آخر تقول: «وموت أبي يطعن فرحتي بالنجاح.... دموع حارقة نزلت على حصاد القلب وحولته رمادا ومع ذلك تجلدت وأنا أجد شيوخ القرية يتقدمون لي بالعزاء.... وجلست أمام ذكان أبي أستقبل عزاء القرية كلها دون أن تنزل دمعة واحدة على خدي رغم الغصة التي كنت أحسبها في حلقي. .... الناس رأوا أن عدم بكائي تجلدا ورجولة في سن مبكرة، ورأيته انهيارا لا يسمع صداه وأنينه ألا أنا. .....[2]» فهدا المقطع يبين لنا كبت وحبس يوسف لدموعه بداخله فهو يحبس ألمه وحزنه على فقدان أبيه أمام الناس فرغم تألمه الكبير على موته إلا أنه كبت كل حزنه بداخله وتصنيف أيضا: «لم أبك. ..وأنا أحس أن كل السبل تقطعت لي ولا طريق لي أن أعود منه إلى وطني الذي تركته يسبح في ذم انكساره. ....وطن غادرته وأنا أتلمس تاجا....، لم أبك وأنا ألقي نظرة ملامح الوداع على وطن إن كنت سأعود إليه ماشيا....[3]»، وقولها:« لم أبك وأنا أودع امرأة عجنت احلامي وصنعت تاريخي بوقوفها الى جانبي حيث تعثري انكسار.... لم أبك ليدها التي ترتجف بين يدي وقلبها

[1]- زكية علال، عائد إلى قبري، دار الأوطان، ط1، 2015، ص 18.

[2]- المصدر نفسه، ص، 32.

[3]- المصدر نفسه، ص، 33.

الذي أحسسته يقفز من صدرها طائرا مدبوحاليستقر على صدري.... ولا يكبت لعينيها اللتين تعلقتا بوجهي حين كنت ألوح لها بيدي مودعا وأنا أقف عند آخر جرج في سلم الطائرة»[1].

ففي هذين المقطعين نرى كبت يوسف لألمه وحزنه على فراق وطنه وفراق أمه اللذان يعزهما كثيرا ويحن لهما فقد سافر وهو حابس لدموعه بداخله فهو لا يدري إن كان سيراهما أم لا وهذا الاحساس هو الذي جعله يتألم كثيرا لفراقهما، «لم أبكي والطبيب يخبرني أنه بتر ساقي من أعلى الفخذ لأعدو نصف رجل.....»[2] فهي في هذا القول تبين لنا ملامح الحسرة والألم التي يعانيهما يوسف بسبب بتر ساقه إذ أنه يكبت صدمته الانفعالية ويخفيها بداخله.

وفي موضع آخر تقول: «مر على غياب أبي يومان وبدأ الأمل في رجوعه يتضاءل بل ينعدم..... أحس أني أصبحت مفرغا من أي كلام مطمئن أهدهد به على فجيعة أمي وحرقة أختي اللتان يصفعانني بسؤال واحد كلما دخلت البيت: هل من جديد ؟. .... كنت أتمدد على فرشتي صامتا منكسرا لا رغبة لي في الكلام وأنا أرى وجه أمي جاهزة للنحيب، وأختي جاهزة للإنتحار على شرفات فجيعة لم تكن بالحسبان»[3]. فهنا يكمن تأثير اللاشعور حيث أن يوسف يكتم الشر الذي يعرفه حول اختفاء أبيه إذ أنه يكبت انكساره بداخله خوفا على تأزم مشاعر أمه وأخته مريم.

أما عندما قالت: «الصدمة جعلتني أتكوم إلى رأس أبي الذي قتلوه ثم فصلوا رأسه عن جسده ورموه كما ترمى فضلات الطعام. ...الصدمة تحبس الدم وتحبس النحيب وتجعلك جاهزا للانتحار من شرفة وطن لا يعرف

[1]- المصدر السابق، ص 34.

[2]- المصدر نفسه، ص 34.

[3]- المصدر نفسه، ص 49

كيف يصون شرفك....»[1] فهنا تتجسد الصدمة الانفعالية ليوسف عندما وجد جثة أبيه الذي قتل فمن هول الفاجعة ولم يستطع أن ينزل دمعة واحدة فهو كبت وحبس صدمته بداخله دون أن يراه أحد.

وفي الأخير نخلص إلى أن هذه الرواية جسدت صورا كثيرة لضوابط الكبت وتأثير اللاشعور من خلال تصويرها لمشاهد كثيرة منها ما يتعلق بيوسف بطل هذه الرواية إضافة إلى مشاهد أخرى متنوعة، إذ أن الكبت ينشأ من اللاشعور ويعد من حالة غير طبيعية ومرض نفسي يواجه الفرد في حياته إثر تعرضه لمواقف أليمة ومحزنة أو صدمات انفعالية وهذا ما يجعلها يحبس بداخله من أجل خفض التوتر والقلق.

[1]- المصدر السابق، ص 54-55.

المبحث الثالث: هاجس الخـوف وشعور الحزن

المطلب الأول: الخوف

أولا– تعريف الخوف

أ– لغـة:

ورد في قاموس لسان العرب لابن منظور أن مصطلح الخوف لغة جاءت بمعاني متعددة.

فالخوف هو الفزع، ويقال خافه يخافه خوفا وخيفة، وإنما صارت الواو ألفا في يخاف: لأنه على بناء عمل يعمل فاستثقلوا الواو وألقوها، وفيها ثلاثة أشياء الحرف والصوت والصرف وربما ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا منها الصوت وقالوا يخاف وكان حده يخوف بالواو منصوبة فألقوا الواو واعتمد الصوت على صرف الواو وقالوا خاف وكان حده خوف بالواو مكسورة فألقوا الواو بصرفها وأبقوا الصوت واعتمد الصوت على فتحة الخاء فصار معها ألفا لينة ومنه التخويف والاخافة والتخوف والنعت خائف وهو الفزع1

وعليه فقد أخذت مفردة الخوف عدة معاني: الحزف، الصرف، والصوت، وهو الفزع.

وقال القرطبي رحمه الله: «والخوف في كلام العرب»: الدعر، وخاوفني فلان فخفته أي: كنت أشد خوفا منه، والخوفاء: المفاز لا ماء بها، ويقال ناقة خوفاء وهي الجرباء [1].

القرطبي هنا يرى أن الخوف هو الذعر والفزع فالناقة الخوفاء عنده هي الناقة الجرباء والتي تعاني من مرض الجرب.

[1]– تفسير القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، الجزء 4. بيروت، 2006، ص275.

وقال الجرجاني: الخوف: توقع حلول مكروه أو فوات محبوب.» 3، أي أن الخوف هنا أي الفزع الذي يوجه الانسان عند تكهنه لحدوث مكروه أو وفات محبوب.

وقد ورد في القرآن الكريم على خمسة وجوه:

الأول: بمعنى القتل والهزيمة: «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أداعوا به»[النساء: 83]. «وليبلونكم بشيء من الخوف»[البقرة: 55] أي القتل.

الثاني: بمعنى الحرب والقتال: «فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد»[الأحزاب 19].أي: إذا انجلى الحرب. «فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك»[الأحزاب 19]: أي الحرب.

الثالث: بمعنى العلم والدراية: «فمن خاف من موص جنفا»[البقرة 182] أي: علم «إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله»[البقرة 229] أي: يعلما، «وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى»[النساء: 3] أي علمتم.

الرابع: بمعنى النقص: «أو يأخذكم على تخوف»[النحل 47] أي تنقص.

الخامس: يعني الرعب والخشية من العذاب والعقوبة، «يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون»[السجدة 16].[1]

وبذلك فالخوف في القرآن الكريم أخذ معاني عديدة منها: القتل والحرب والعلم أي الدراية، والنقص والرعب أي الخشية من العقاب والعذاب من الآخرة.

[1]- نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول (ص) 1868/5 نقلا عن بصائر دوي التمييز للفيروز أبادي 2 / 578 – 579.

ب- اصطلاحا:

يعرف عبد الرحمن الوافي في كتابه مصطلحات علم النفس مصطلح الخوف حيث يقول أن الخوف: «هو حالة انفعالية طبيعية تشعر بها كل الكائنات الحية في المواقف الخطيرة وهو استعداد فطري زود به الانسان ليحمي نفسه وليأخذ حذره من مخاطر الحياة، ويظهر الخوف في أشكال متعددة وبدرجات تتراوح بين مجرد الحذر والهلع والرعب، وكلما كانت درجة الخوف في حدود المعقولة كلما كان الانسان سويا يتمتع بالصحة النفسية، وأمكنه أن يسيطر بعقله على مخاوفه، وكلما كانت درجة الخوف كبيرة يتعذر معها السيطرة عليها بالعقل والمنطق، كلما كان الفرد يعاني من الاضطراب النفسي وسلك سلوكا شاذا بهدف الابتعاد عن المصدر الذي يخاف منه»[1].

فالخوف إذا هو الفزع الذي يشعر به الانسان في داخله وهو الذعر الذي يحس به عند حدوث موقف خطير.

المطلب الثاني: الحـزن

إن الاغتراب، الموت، المرض، تشكل مرجعا للحزن عند الانسان بصفة عامة وهو صفة تخص جل الناس كما أن الحزن عبارة عن حالة شعورية نفسية، ولطالما اهتم الشعراء بهذه الظاهرة وأولوا عناية بها، فتعريف الحزن لغة واصطلاحا:

[1]- عبد الرحمن الوافي، قاموس مصطلحات علم النفس، دار الرسالة، الجزائر، دط، دس، ص 64 – 65.

أولا– تعريف الحزن

أ– لغـــــة:

جاء تعريف الحزن في «لسان العرب: الحزن والحزن: نقيض الفرح وهو خلاف السرور والجمع "أحزان" وقد حزن بالكسر حزنا وتحازن وتحزن ورجل حزنان ومحزان شديد الحزن»[1].

- كما اتفقت معاجم اللغة على أن الحزن هو نقيض السرور قال بن فارس: «الحاء والزاي والنون أصل واحد وهو خشونة الشيء وشدة فيه»[2] وهذه الخشونة والشدة تحصل في النفس بسبب الهم والغم.

قال تعالى «وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور»[3][سورة فاطر] وبهذا فالقرآن الكريم أيضا يحتوي على مفردات الحزن في بعض السور.

ب– اصطلاحا:

أما في معناه اللإصطلاحي فقد عرفه فاخر عاقل بقوله: «هو حالة انفعالية تتصف بمشاعر غير سارة وتعبر عن ذاتها بالتأوه والبكاء وقلة تحريكه لعضلاته»[4] ففاخر عاقل من خلال هذا التعريف وصف لنا حال الإنسان أثناء حزنه.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (حزن)، دار صادر، بيروت . ط3، 1994م، م ج، 13، ص 111.

[2]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (باب الحاء والراء)ج2، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، سوريا، 1979، ص 54.

[3]– سورة فاطر، الآية 34.

[4]– السعيد الراوي، ظاهرة الحزن في شعر السياب، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 1986، ص 27.

«والحزن هو حالة تفرضها وضعية الانسان في الكون، هذه الوضعية المأساوية التي تشتمل على نصفين: القدرات المحتومة، والأعمال العريضة، حتمية الموت وعزيزة الحب والحياة معا، وهذه التعارضات في كيان الانسان كفيلة وحدها بتوطين الحزن في كيان الانسان»[1].

كما أن تعريفات معظم العلماء للحزن تدل على الجانب النفسي منه وليس على آثاره الظاهرة فقد قال رشيد رضا: «الحزن هو ضرب من آلام النفس يجده الانسان عند فوت ما يحب»[2] أي أن الحزن حسبه ألم يلم بالنفس عند فقد محبوب أو امتناع مرغوب أو حدوث مكروه – كما أن بعض علماء النفس أطلقوا كلمة الاكتئاب يلتقي بالحزن في مرحلة متقدمة منه وهذا ما جاء به الدكتور محمد عبد العليم الذي فرق بين الحزن والاكتئاب بقوله: «الاكتئاب جملة من الأعراض التي تفقد الانسان فعاليته وتؤثر سلبا على عواطفه وتفكيره وتواصله وحتى قيمته كإنسان»[3] وعليه فالحزن لديه العديد من التعريفات وهذا ما ركز عليه العلماء من ناحية الجانب النفسي.

المطلب الثالث: هاجس الخوف وشعور الحزن في رواية عائد إلى قبري لزكية علال

يعتبر الحزن والخوف حالتان انفعاليتان في كل الكائنات الحية وكلا المصطلحين له ميزة عن الآخر أي أنهما مختلفان، فالحزن قد يكون بسبب وقوع مكروه يتعذر دفعه أو أمر غير مرغوب فيه يتعذر تلاقيه، وهو أيضا يتبسط في وجود مشاعر عاطفية لا تمس مقدرات الإنسان الأخرى، والحزن لا يكون إلا بوجود أسباب منها تعرض الفرد أو أحد أفراد الاسرة أو الأصدقاء إلى حادث أو وفاة أو الاصابة بمرض أو بوجود هواجس نفسية لدى الفرد والتي

---

[1]– ينظر، كاميليا عبد الفتاح، اشكالية الوجود الانساني، دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثة، دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية، دط، 2008، ص 29.

[2]– رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم، ج6، ص 387.

[3]– مجال على الانترنيت للكاتب عبد العليم محمد بعنوان، لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يصفون فيها الحزن، ينظر http//www.islamwab-ner/vev2/istisharat/details2/php/rqid27,294.

تدفعه للخوف في الحزن بدون سبب كما لا ننسى أن العقل الباطني له الدور الكبير في وجود الحزن من خلال مشاهدة الفرد أو سماعه لمشهد أو خبر محزن أما بخصوص الخوف فهو عبارة عن تألم الباطن بسبب توقع مكروه يمكن حصول أسبابه وهو يخص بالحوادث التي تثير القلق لدى الانسان لكنها تقع في المستقبل فيبقى الانسان قلقا حذرا إزاءها ومنتظرا وقوعها.

وعلى هذا الأساس نجد كلا المصطلحين حاضرين في رواية "عائد إلى قبري" لزكية علال إذ أنها تطرقت إلى بعض الهواجس النفسية التي تعرض لها بطل الرواية يوسف فنجده حزينا على مقتل والده المفاجئ وفصل رأسه عن جسده وجبينه واشتياقه له بالإضافة إلى حزنه وانكساره الشديد إزاء بتر رجله «بدأت أنبش القبر بأصابعي.... آه يا أبي لقد وجدت. ... من يبكي على رأس عثرنا عليها.... ولم أجد من أهدي من يبكي على ساقي التي تركتها في غرفة العمليات ببغداد»[1].

كما نجد يوسف حزينا بعد عودته إلى أرض الوطن مهزوما ومنكسرا بعد أن خطفت رجولته وبترت ساقه «كنت أرى على ملامحها فرحتي التي سقطت من وجهي وقلبي حزين على أبي الذي مات قبل إعلان النتائج بأسبوع واحد»[2].

فيوسف لم يدق طعم الفرح بنجاحه بسبب موت أبيه الذي خطف كل شيء حتى فرحته وفرحة أمه به فقد كانت أم يوسف حزينة أيضا وقد توقفت الحياة عندها بعد أن أصبحت دون سابق انذار أما مريم فقد أصبحت كئيبة بسبب ألم فراق أبيها، وهاقد مر الصيف حزينا كأشد ما يكون الحزن وحان موعد رحيل يوسف وترك أمه المفجوعة وأخته مريم اليتيمة وحيرته على ما ستفعلانه بعد غيابه «التفت فرأيت مريم تقف عند الباب

[1]- المصدر السابق، ص 13

[2]- المصدر نفسه، ص 42.

فاستقبلني دمعها فقلت لها مازحا وكأني أردت أن أصرح هذا الحزن الذي لم يغادر عينيها منذ الفاجعة»[1]. وهنا يتضح خوف وحزن يوسف على ترك عائلته ومريم التي لم تنسى والدها وصدمة موته لتتجرع مرارة فراق أخيها لهما، فقد أصبح البيت مظلما وكئيبا بعد وجود الوالد المغطى بالتراب والأخ الذي كان سيسافر ليكمل مشواره الدراسي وخوفها على أخيها الذي سيكون بمكان آخر بعيدا عنهما. وكما برز أيضا حزن سعاد على غياب أخيها الذي شاع خبر مفاده أن جماعة اختطفته لتساوم أباها على مبادئه ومواقفه التي لم تتغير «أشعر بحزن يشطر قلبي إلى نصفين، لم استوعب غياب أخي بعد كل هذه السنين ولم أصدق أنني لم أراه مرة أخرى»[2]. وهنا يتضح لنا حزن سعاد وافتقادها إلى أخيها، وغموض اختفائه المفاجئ فهم لم يعرفوا إن كان حيا أو ميتا بعد أن مرت السنين بالاضافة إلى حزنها على سفر يوسف في عملية مهمة أرسله والدها إلى بغداد «نظرت إلي فرأيت عينين نديتين. ... الشمس فدمعها في تألق»[3].

وهنا نرى أن سعاد وضعت في موقف لا يحسد عليه ولا يختلف عن مصير أخيها المجهول فهي لا تدري هل سترى يوسف مرة أخرى أم ستنكسر مرة أخرى وأيضا أجل موعد خطوبتها إلى حين انتهاء مهمة يوسف ببغداد فهي لم تستطع أن تذرف الدمع أمام يوسف لكنها بالداخل فهي تتمزق وقد اتضح ذلك من خلال العينين النديتين بالإضافة خوفها لشديد بأنه سيذهب إلى العراق المحاصرة بالذبابات والمدافع لكنها رغم ذلك بقيت صامدة كي لا يرى يوسف ملامح الحزن والخوف على وجهها.

[1]- زكية علال، عائد إلى قبري دار الأوطان، الجزائر . الطبعة الأولى، 2015، ص 61.

[2]- المصدر نفسه، ص 120.

[3]- المصدر نفسه، ص 171.

كما تبدد الخوف في قلب يوسف بعد أن غطى النوم عينه واستسلم ليحلم بالحجاج وهو يخرج السيف من غمده ليشهره على يوسف «أحببته وأنا أتحسس عنقي التي أحسستها إلى حد سيفه إنها أكبر من الفتنة»[1].وهنا يتضح حسب قول يوسف هاجس الخوف من الموت على يد الحجاج بعد أن وضع السيف في عنقه كي يذبحه لكن ذلك كان عبارة عن كابوس فقط.

بالإضافة إلى خوف يوسف على إنعام والموضح في«كيف نعود من غير انعامُ ، كل واجد منا مسؤول عن الأخر إذا حدث له مكروه»

وهنا يتضح خوف وقلق يوسف الشديد على انعام، فهو لا يستطيع أن يعود الى الفندق بدونها وخصوصا بعد أن أصبح يشعر أنها تنتمي إليه، ويرى ضرورة تحمل مسؤولية ان وقع لها مكروه فيوسف هنا يصور لنا مدى اهتمامه بانعام

وفي الختام يمكننا القول أن عنصر الخوف والحزن حاضران بكثرة وهما العمود الفقري الرواية ويعتبران جزءا من الواقع المعاش داخل الرواية كما أن الحالة النفسية لبطل الرواية ساهمت في وجودهما جراء الانفعالات التي تعرض لها.

[1]- المصدر السابق، ص 178.

الفصل الثالث:

الهواجس الاجتماعية

تمهيد

تتحدد الدراسات الأدبية المتعلقة بالنصوص حسب العديد من الباحثين بتمييز مناهج الدراسة بين سياقية ونصانية، وتتفق العديد من المقولات النظرية على أن الدراسات الموضوعية للأدب، تتركز على تفسير الإنتاج الأدبي وتحليله في إطاره، وذلك تبعا لمرجعياته التي أنشأته والمتعلقة على وجه الخصوص بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية وإذا ما اعتبر الأدب ظاهرة اجتماعية فضلا عن خصائصها الفنية فنقطة بدايته لا تتحدد به من حيث كونه يصدر عن مبدع هو الآخر بحاجة إلى مرجعياته فالأدب كظاهرة هو محصلة علاقاته الاجتماعية كما يقول ماركس بحق الذي سعى إلى قلب الرؤية الفكرية السائدة فالفلسفة وإن كانت تبنى على التأملات بهدف الوصول إلى المعرفة فإن إيجابياتها تتحقق بارتباطها بالواقع، وإن كانت منطلقات "هيجل" في تطوير الفلسفة الألمانية تتحدد بقدرة الفكر على حكم العالم، وأن سيرورة التاريخ تعني الاكتشاف التطوري المستمر في نسقه التدريجي لقوانين العقل، بالمقابل فالعالم المادي هو انعكاس لجوهر الفكر أو الروح وهذه المنطلقات أشارت أيضا في ثناياها إلى أن الأفكار والديانات والأنظمة القانونية المنظمة لحياة البشر والحياة الاجتماعية والثقافية بمختلف مظاهرها هي من إبداع العقل الإنساني الذي يثبت يقينا الحياة الإنسانية ويسعى "كارل ماركس" إلى تجسيد تصور آخر للأدب ويعتبره مثل الإيدولوجيا نتاج للعلاقات الاجتماعية في تجلياتها الواقعية، شأنه بذلك شأن الأنظمة العقلية، التي هي تحصيل للوجود الاقتصادي والاجتماعي والواقعي، فالوجود الإنساني يتحدد بطبيعة المصالح المادية للطبقة الاجتماعية المسيطرة ومجمل الأنظمة القانونية هي انعكاس واقعي لمصالح الطبقة المسيطرة في المجتمع في مراحل تاريخية معينة وليست انعكاسا خالصا للعقل الإنساني والإلهي.[1]

[1]- ينظر، فتحي بوخالفة، التجربة اتلروائية المغاربية (دراسة في الفعاليات النصية وآليات القراءة)، دار علم الكتب الحديث، الأردن، ط1(1431، 2010،)ص87، 88.

وقد كان ماركس يرى أن ما نسميه "بالثقافة" ليس واقعا مستقلا بل هو جزء لا يتجزأ من الظروف التاريخية التي يخلق فيها الناس حياتهم المادية، لأن علاقات السيطرة والخضوع (الاستغلال) التي تتحكم في الترتيب الاجتماعي والاقتصادي الإنساني في مرحلة ما سوف تحدد و(تسبب) الحياة الثقافية للمجتمع كله، وعليه وفق هذه الرؤية لن يكون الأذى سوى تجسيدا لعوامل التناقض الاجتماعي في جميع مظاهره ولا يمثل ظاهرة مستقلة عن الواقع فهو نتاج عملية التطور التاريخي التي تعكس الحياة المادية للمجتمع، ويتمثل الدور الوظيفي لعلاقات السيطرة والخضوع في صياغة النص الثقافي للمجتمع وفق المراتب الاجتماعية والاقتصادية الإنسانية.

تتحدد هوية النص في ظل دراسات أدبية تلتزم شرط اعتباره بنية لغوية محاشية مغلقة ومكتفية بذاتها، وهذا يكرس مفهوم المقولة الأساسية في المنهج البينوي المناقض للكينونة وفهمها على أساس أنها مقولة العلاقة والأطروحة المركزية للنبوية هي توكيد أسبقية العلاقة على الكينونة وأولوية الكل على الجزء، فالعنصر لا معنى له لا قوام إلا بعقدة العلاقات المكونة له ولا سبيل إلا تعريف الوحدات بعلاقاتها في أشكال لا جواهر ولقد طرح ماركس مبدأ هذه النبوية المطبقة على العلوم الإنسانية حين كتب في أطروحته السادسة عن فيورباج (أن الفرد هو جملة علاقاته الاجتماعية) ولذلك تتحدد هوية النص الأدبي بحسب طبيعة المنهج الخاص باستقصاء خواصه الجمالية وتحليل مستوياته ومعرفة وحداته البنوية المكونة.

وفضلا عن التعددية اللغوية التي يصدر عنها الإنتاج الروائي المغاربي إلى جانب تنوع المرجعيات الثقافية، ومواكبته الإبداعية لتاريخ شعوب المغرب العربي فهو إنتاج عن قواسم حضارية مشتركة ترجع إلى تمثل الروائيين لمقتضيات السياقات السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية وتجسيدهم لمخزونات الذاكرة ذات الأصول الدينية والتاريخية[1]

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص88.

مثل الرواية المغاربية للسياق الاجتماعي يعود في أساسه إلى اعتبارات تاريخية منذ ما قبل الاستقلال الوطني، ارتبطت هذه الاعتبارات، "ببروز الحركات الوطنية وحركات الإصلاح والتجديد مما أضفى على الأدب طابعا اجتماعيا وتسجيليا استهدف تخليص اللغة الأدبية من قيود التفكير وتحرير المضمون من الرقابة والاهتمام بالتسجيل لردود الأفعال تجاه خصائص الحقبة الاستعمارية، خاصة أسئلة الهوية ومقومات الشخصية المغاربية" وحتى بعد الاستقلال لم تكن الرواية المغاربية بمعزل عن التحولات الاجتماعية الجديدة خاصة منها تلك الملازمة لمرحلة البناء والتشييد بغرض إحداث المقاطعة مع حقبة تاريخية سابقة، وتأكيد مسار التغيير، عليه وإن كنا نلمح نموا واضحا في الإنتاج الروائي المغاربي في فترة الاستقلال فإنه لا مناص من إدراج عملية النمو هذه في خصوصية السياقات الاجتماعية للمجتمع المغاربي، من حيث اختصاص الإنتاج في تجسيد العديد من الخيبات وانكسار الآمال أمام تراجع المشاريع المؤكدة لمسائل التغيير والثورة إلى جانب تنامي الشعور بالهزيمة والتراجع عن الطموحات.

وإن هذه الأوضاع التي صاغت منطا اجتماعيا معينا له انعكاساته الواضحة على الإنتاج الأدبي المغاربي بصورة عامة كانت تستجيب لعلاقات التلازم المحددة لنسق العلاقة الرابطة بين التحولات الاجتماعية والاقتصادية والبنية الفكرية للمجتمع، وفي هذه الحال أمكننا الحديث عن دور البني التحتية في تحديد أنماط تصورات الفرد المغربي والإقرار بحالة التمزق التي هو عليها.

ونسعى في هذا الفصل إلى دراسة السياق الاجتماعي في رواية"عائد إلى قبري" لزكية علال، حيث قمنا بتحديد مجموعة من العناوين الفرعية يمكن الوقوف عندها لدراسة السياق الاجتماعي وهي:

- معناة الاغتراب.
- الاستبداد السلطوي.
- الفساد الاجتماعي.

- الظلم.

وينبغي التأكد في هذه الحال على أن الفن بصورة عامة وعبر تطوراته المرحلية كان وثيق الصلة بالواقع الاجتماعي لأنه يمثل نشاطا اجتماعيا، ويعكس نوعية العلاقات السائدة بين أفراد المجتمع الواحد سواء من حيث تحديد أنماط الصراع أو من حيث رصيد تطورات العلاقات الاجتماعية في حد داتها.[1]

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص89، 90.

المبحث الأول: معاناة الاغتراب

لقد سجل الاغتراب حضوره الفعال بقوة في الأدب على غرار المجالات الأخرى، إذ أن الاغتراب له الدور الكبير في جمالية الأدب وخصوصا في الجانب الروائي إذ" أصبح من المألوف في الوقت الراهن بصورة متزايدة أن نسمع عن تفسير الحياة في عصرنا الحالي من خلال مفهوم الاغتراب" [1]فالمبدع باعتباره أكثر الناس تعبيرا عن مشاعره ومكبوتاته، وجد الاغتراب طريقا للنفاذ إلى أعماقه، فظل مصاحبا له دوما، وعليه فإن "كل عمل أدبي أو فني لابد أن نعثر فيه على جذور الاغتراب"[2]، فقد حوى الأدب العديد من النماذج التي تعكس مفهوم الاغتراب فيمكن أن نقرأ الاغتراب في"الإلياذة والأوديسية" "هوميروس" وبذلك فالاغتراب عرف مند القدم عند اليونانيين وهذه الأخيرة ساهمت في تصوير اغتراب الإنسان وضعفه أمام الطبيعة وقواها، وجسد أيضا "هملت"الإنسان المغترب عن كل ما حوله، وفي الرواية نجد الشخصيات المغتربة عند "بلزاك" في الكوميديا الإلهية "وفي الروديكنز أو ليفرتوست وعناقيد الغضب"[3] والأمثلة على ذلك كثيرة لا يسع المجال لذكرها.

أما الأدب العربي فهو الآخر يكن يختلف عن ظاهرة الاغتراب بحكم تأثره أيضا بالتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وما أفرزته من سلبيات وتناقضات عكسها المبدع في أدبه، وإن كان"موضوع الاغتراب في الأدب العربي جديد نسبيا"إلا أنه استطاع أن يصورها أحسن تصوير وبالتالي تلقى الرواج مع الوقت في الأدب.

وباعتبار الرواية حاضنة أفكار المجتمعات وهي المرأة العاكسة لانكسارات واهزامات الفرد في المجتمع فقد سعى الروائيون إلى تجسيد هذه بواسطة أبطال مثقفين بالضرورة، بوصف المثقف هو الشخص الواعي لإدراك

---

[1]- مريم حبر فريحات، الحس الاغتراب في أعمال روائية لغسان كنفاني، مجلة جامعة دمشق، سوريا، مج 26 ص49، ع 3+4، 2010ص291.

[2]- المرجع نفسه، ص291.

[3]- المرجع نفسه، ص291.

حقائق يجهلها العامة المجتمع، وهو أكثر الأشخاص الذين يتعرضون إلى الاهتزازات والتشاؤم واليأس من الظروف المحيطة، فهو لديه رسالة سامية هي تعرية الواقع، ومن أمثلة ذلك:

"رواية نجيب محفوظ" ثرثرة فوق النيل" وهي رواية" اللامواجهة التي تصور الإنسان في حالة اغتراب وهرب من المواقع بدلا من الكفاح والعي لتغييره"[1]فهي تعكس الجانب السلبي للفرد من خلال رضوخة للواقع دون سعي منه إلى مواجهة، وهذا الاستسلام هو صورة من صور الاغتراب بين الفرد ومجتمعه، وكذا "رواية"موسم الهجرة إلى الشمال لـ"الطيب صالح" والذي يمثل الجانب الإيجابي من الاغتراب، الذي يصور محاولة التمرد الفردي على ملامح الاغتراب والنفي"[2]

بالإضافة إلى رواية "حليم بركان" ستة أيام" التي جسدت بشخصياتها المغتربة "طبيعة اغترابهم، وعلاقاتهم بالمجتمع، والدولة وردود فعلهم إزاء هذا الشعور الحاد وتطور سلوكهم في محاولة لوضع حد لاغترابهم"[3]

ففي هذا العمل حاول تبيان حالة الاغتراب عند الإنسان العربي ومصادره، وكيفية انعكاس هذا الاغتراب في سلوكه.[4]

المطلب الأول: ماهية الاغتراب

يعد الاغتراب سمة بارزة في حياتنا المعاصرة وهو من أكثر المواضيع التي يطرح تناولها إشكالات عدة أبرزها الغموض لهذا المصطلح فعلى الرغم من أن ظهوره ليس حديثا فجذوره ضاربة منذ القدم حيث تعرضت لدراسته مختلف العلوم كالفلسفة وعلمي النس والاجتماع، ومؤخرا كان له حضور في الفنون والآداب، إلا أن تعاريفه

[1]- ينظر، بسام خليل فرنجية (الاغتراب في أدب حليم بركات) مجلة فصول، ص207.
[2]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات بين العلم والواقع ص149.
[3]- ينظر المرجع نفسه، ص150.
[4]، بسام فرنجية (الاغتراب في أدب حليم بركات)، مجلة فصول ص 207.

متعددة بسبب تعدد معانيه حسب الباحثين بالإضافة إلى المعني التي يكتسبها المصطلح اللغة العربية وفي اللغات الأجنبية الأخرى فما هو الاغتراب لغة واصطلاحا؟

أولا– تعريف الاغتراب:

أ– لغة:

ورد في لسان العرب لـ "ابن منظور" في"مادة–غ–ر–ب الذهاب والتنحي عن الناس وقد غرب، يغرب، غربا، غرب، وأغرب وغربه وأغربه، وفي الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وسلم(أمر بتغريب الزاني إذا لم يحصن وهو نفيه عن بلده) أي نفيه عن البلد الذي وقعت فيه الخيانة والغربة، النوى والبعد قال:"ساعد بن جورية" يصف سحابة:

ثم انتهى بصري وأصبح جالسا منه لنجـــد طــائف متغرب

والتغريب هو النفي عن البلد"[1]

وجاء في قاموس (محيط المحيط) "غربت النجوم تغرب غروبا بعدت وتوارت في معانيها والرجل بعد والقوم غربوا، ذهبوا، وفلان غبا "تنحى" وفي سفره تمادى واغترب الرجل، بعد ونزح عن وطنه، جمع أغرب وأغربه وغربان وغرب، وغرابين"[2]

[1]– ابن منظور، لسان العرب، باب غرب، دار صادر، بيروت لبنان، مج1، 1997ص 638. 639.

[2]– بطرس البستاني محيط المحيط، قاموس مطول اللغة العربية، دط، ساحة رياض الصلح، بيروت لبنان، 1987 ص654.

وفي المعجم الوسيط:"غرب في الأرض أمعن فيها فسافر سفرا بعيدا واغترب فلان عن الوطن وفلان تزوج في غير الأقارب والغريب الرجل ليس من القوم ولا من البلد"[1].

ويرد هذا المعنى في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس:"الغربة: البعد عن الوطن ويقال غربت الدار ومن هذا الباب غروب الشمس، كأنه بعدها عن وجه الأرض ومغرب أي بعيد ويقولون هل من مغربة خبر يريدون خبرا أي من بعد"[2]، أما " الفراهيدي فقد أورد في معجمه "العين" كلمة الغربة بمعنى الاغتراب عن الوطن وغرب فلان عنا يغرب غربا، أي تنحى، وأغربته وغربته، أي نفته، والغربة وهي النوى البعيد وأغرب القوم: انتووا وغاية مغربة أي بعيدة"[3]، وفي "تاج اللغة وصحاح االعربية: ذكر الجوهري إلى أن الغربة تعني الاغتراب ويقول: تغرب: اغترب بمعنى غريب وأيضا غرب"بضم العين والراء"[4]

ب– اصطلاحا:

استخدمت كلمة الاغتراب بطرق متعددة ومعاني مختلفة حتى أصبح في الغموض والإبهام الشديد ولقد وقف رتشارد شاخت في كتابه الاغتراب على أن الأصل اللاتيني لكلمة اغتراب هو" Alienation وأخذ هذا الاسم معناه اللغوي من فعل lienare بمعنى تحويل شيء مالكية شخص آخر أو الانتزاع وهذا الفعل مستند من لفظ alienus أي ينتمي إلى شخص آخر أو يتعلق به وهذا الأخير ينطلق بصفة نهائية من لفظ Alius الذي يعني الآخر سواء كان اسما أو صفة"[5].

[1]– إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيان وحاسد عبد القادر"المعجم الوسيط" دار العودة، اسطمبول 1989 ص647 و648.

[2]– تحقيق عبد السلام هارون، المجلد الرابع، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991 ص421.

[3]– الفراهيدي، كتاب العين، تح مهدي المخزومي ابراهيم السامراني، دار الرشيد، بغداد، ط2، 1980، 1986.

[4]– الجوهري، تاج اللغة وصحاح اللغة العربية، تح، احمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، دت.

[5]– ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة وتحقيق كامل يوسف حنين، ط2، دار الشرقيات للنشر والتوزيع القاهرة، مح1، 1996 ص63.

وهذه بعض معني الاغتراب الاصطلاحية والتي والتي تختلف فيما بينها.

الاغتراب بمعنى نقل الملكية "يرتبط أحد الاستعمالات اللاتينية الأساسية للفظي Alienation وAlenere بما يتعلق بالملكية وفي هذا الصدد فإن Alienere يعني نقل ملكية شيء إلى شخص آخر، والقيام بذلك يعني حرفيا جعل شيء ما ينتمي إلى شخص آخر، ومن هنا تأتي ملائمة الإشتقاقات المستمدة من لفظ ALIENUS أو بالمثل فإن بوسع المرد أن يعثر في اللغة الإنجليزية المنتمية إلى العصور الوسطى على فعل عند قيام شخص ما بتغريب شيء بمتلكه كالأراضي أو المنازل، وهكذا كان يمكن أن يؤثر شخص ما في القرن الخامس عشر بألا يقوم بتغريب قطعة أرض على سبيل المثال"[1]، وعلى هذا فالاغتراب عند ريتشارد يفرض نفسه

والاغتراب أيضا بمعنى ثلاثي المعايير "يرجع الفضل لهذا المصطلح إلى بحوث العالم الفرنسي "دوركايم" عن موضوع الأنوميا- التداعي، ويشير بحثه إلى وضعيته تنعدم فيها المعايير الإجتماعية لضبط سلوك الأفراد، ويمكن اعتبار فكرة الأنوميا التي نحتها المفكر دوركايم هي جزء يتكامل ومفهوم الاغتراب"[2].

ونلاحظ بعد ذلك من خلال الاهتمامات المعاصرة، تعدد استخدامات المصطلح من وجهات نظرا أخرى كالمدخل النفسي لهذه الظاهرة إذ يختلف تعريف" إيريك فروم"، تلميذ "ماركس" في كتابه المجتمع السوي: عن أستاذه " إذ لم يعالج الاغتراب من الناحية الاقتصادية بل من خلال المسافة بين الشخص وذاته، من خلال التجربة التي يعيش فيها الإنسان مع نفسه غريبا، إذ يصبح غريبا عن نفسه أي لم يعد يعيش بنفسه كمركز لعالمه، وكخالق لأفعاله بل إن أفعاله ونتائجها تصبح سادته الذين يطيعهم"[3]

[1]- المرجع نفسه، ص64 "ريتشارد"

[2]- ريتشارد شاخت، الاغتراب ص17.

[3]- يحي عبد الله، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2005ص22.

والاغتراب بصفة خاصة يضرب بجذوره في أعماق الفلسفة فهيجل"أبو الاغتراب" وصاحب"الأنا الآخر وديكارت صاحب الكوجيتو المعروف "أفكر إذن أنا موجود" وسارتر فيلسوف الوجودية يرى أن الموجود خارج نفسه (الاغتراب بمعنى التخارج)و"الواقع أن مصطلح الاغتراب يعتبر الآن من أكثر المصطلحات تداولا في الكتابات التي تعالج مشكلات المجتمع الحديث، وبخاصة المجتمع الصناعي المتقدم، بالذات في الدول الرأسمالية، وقد ظهر السنوات الأخيرة مؤلفات كثيرة في اللغات الأجنبية تتناول مفهوم الاغتراب وتطوره، وإنكم في اللغة العربية حتما الآن سوى عدد قليل من الكتب والمقالات على الرغم من أن الاغتراب يعتبر في نظر الكثير من المفكرين والكتاب من أهم السمات المميزة للعصر وإحدى نقاط الصراعات"[1]

المطلب الثاني: أنواع الاغتراب

إن الاغتراب ظاهرة عرفها أفراد المجتمع البشري في كل زمان ومكان، وبالتالي فإن أسبابها ومظاهرها وأنواعها متعددة ومتنوعة، وهنا سوف نتطرق إلى أهم أنواعها:

1- الغربة المكانية: وتتمثل فيما يراود الإنسان من مشاعر جراء اضطراره للانتقال من مكان تتحتم عليه مفارقته إلى مكان آخر، وذلك أن التألف مع المكان يتبلور على شكل شعور ما بالمواظبة وشعورا بالمحلية، وكأنه الكيان الذي لا تحدث الأشياء بدونه ولا يلبث أن ينطبع في ضمير الإنسان واقعا ورمزا تاريخيا سابقا، وحاضرا بشكل أحياء ومقاطعات ومدن أو قرى[2]، وتبعا لذلك فقد شكل المكان وهو الوطن على الدوام هاجسا بمرور الوقت في شكل قضية متجددة واضحة، ولاسيما حين ترغم ظروف الإنسان على مغادرة المكان الذي نشأ وترعرع فيه أو الوطن ويضطر إلى مفارقة من فيه من أهل وأصدقاء ليحل في مكان آخر، فينبعث لديه الشعور بأن

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات سيكولوجية "الاغتراب" دار غريب للطباعة والنشر القاهرة مصر 2003 ص21.

[2] - ياسين ناصر، الرواية والمكان، الموسوعة الصغيرة، 57، منشورات الثقافة، بغداد، 1980، المقدمة، ص 5.

المكان غريب عنه أو أنه غريب عن المكان ويجد نفسه بعيدا عن الانسجام مع محيطه وغير قادر على الانتماء والتآلف معه، ولكي يتجنب الفرد هذا الشعور، فإنه يشعر بالحنين إلى وطنه والذي يبثه على الأمل ويرفع معنوياته من خلال الانسياق وراء خياله عبر استحضار صور وذكريات من الوطن، أو من ماضيه، حينما كان في الوطن، تلك الأماكن التي شهد وعاش فيها أحداثا سارة، بالإضافة إلى صور الأحبة التي تجعله يتخبط في الحسرة، لأن ذلك كله أصبح جزءا من الماضي ولم يعد باستطاعته أن يعيش أو يسترجعه مرة أخرى[1].

2- الاغتراب الكوني: ويتمثل فيما يراود الإنسان من شعور بالاغتراب أو الغربة إزاء البيئة المحيطة به، سواء كانت البيئة الطبيعية أم الاجتماعية، فالاغتراب الكوني عادة ما ينشأ من جراء خلل في الموازنة بين الذات والكون، أو الذات والجماعة، أو الذات والطبيعة، أم البيئة الاجتماعية، أم الكون برمته، فهو ينشأ في الغالب من جراء خلل في الموازنة بين الذات والكون أو الذات والجماعة، أو الذات والطبيعة[2].

ذلك أن الإنسان منذ أن وعى ذاته ووعى المحيط به، حاول أن يحقق نوعا من التواصل والتآلف بينهما، وطالما كان التآلف قائما كان التوازن قائما والحالة السوية، ولكن عندما يطرأ تحول أو تغير على أحد قطبي الموازنة يحدث خللا.

3- الاغتراب الروحي: ويتمثل في الشعور الذي يراود بعض الأفراد، ويرتبط وجوده بوجود الدين في أي مكان وزمان، في المشرق كما في المغرب، فشعراء الزهد والتصوف مثلا يتأثرون ببعض المفاهيم الدينية التي تهون كثيرا من شأن الدنيا ومتعها الفانية، ومرور الإنسان بها كأنه غريب أو عابر سبيل فكثيرا ما عبروا عن زهدهم في هذه الدنيا واجتنابهم للناس والابتعاد عن الحياة، ساعين بذلك إلى خلاص الروح من هذا العالم الأرضي لتصل إلى عالمها العلوي، ولا شك أن هذا التصور مر بمراحل وصل فيها مفهوم الزهد بصورته البسيطة إلى المعنى الخالص لدى

[1] – عبد الأمير محسن عودة، الغربة والاغتراب في الشعر الكويتي البحريني، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، 1980، ص 109، 246، 284.

[2] – عادل كامل، الاغتراب في الفن التشكيلي المعاصر، مجلة الثقافة، السنة العاشرة، ع4، 5، سينان، 1987، القسم الأول، ص 63.

الصوفية من غربة الروح في الجسد بل في هذا العالم، فكلا الفرقتين مترادفتان من حيث غربة الروح فالزهد هو التخلي عن الدنيا والانقطاع إلى العبادة وترك ملذات الحياة أما الصوفية فعكس ذلك تماما، وبذلك نجد الاغتراب الروحي الذي هو «نتاج تراكم تجارب وخبرات ومعاناة يواجهها الإنسان في واقعه، إذ أن تعاقب الإخفاقات يؤدي بالإنسان إلى اعتزال واقعه اعتزالا كليا أو شبه كلي والسعي إلى بلوغ واقع آخره وجود له إلا في تصوره وخياله»[1].

فالذات أو الروح تصير هائمة، يصعب التكيف مع الواقع، فتعتمد أن ترسم عالما مثاليا تحاول أن تعايشه من خلال الخيال، فتتغرب بالتالي في الزمان والمكان، وقد أشار الأديب اللبناني "ميخائيل نعيمة"، (1988-1989) على تجربته الذاتية في هذا المجال إذ قال: "أن الشعور بالغربة ما انفك نشيطا ويزداد في مر السنين، حتى بت أعيش في عالمين، عالم خلفته من نفسي لنفسي، وعالم خلفه الناس للناس"[2].

فالشعور بالغربة على مر الزمن يتفاعل ويحضر بوجود الروح أي الشعور.

4- الاغتراب النفسي: ويطلق عليه في علم النفس باسم "الاغتراب عن الذات" «يتمثل في زوال الارتباط بين الذات وما عليه الإنسان أو ما كان عليه، بما في ذلك ارتباط حياته الراهنة بماضيه، وجوهر هذا الاغتراب هو البعد عن مشاعر المرء ومعتقداته وطاقته»[3].

أي أن ذلك يكون في الإنسان حيث يرصد سوء الواقع الذي يعيش فيه، ويفقد فيه المثل الذي يتطلع إليها، ويعجز عن تحقيقها، ويعمد إلى الهروب من ذلك الواقع ليصنع لنفسه عالما نرجسيا منغلقا ومنفصلا عن واقعه الفعلي، فيعاني تبعا لذلك من الاغتراب.

---

[1] – محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي، منشورات كتاب اتحاد الأدباء العرب، دمشق، د ط، 1999، ص 43.

[2] – ماهر حسن فهمي، الحنين والغربة في الشعر الغربي الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د ط، 1975، ص 120.

[3] – ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة وتحقيق كامل يوسف حنين، ط2، دار الشرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، م1، 1996، ص 205.

أما مظاهره فيتفق علماء النفس على «أنها تتجلى في شعور طاغ بالألم والحزن واليأس والعجز والعزلة الاجتماعية ويتميز المغترب بالقلق والاكتئاب، مع إحساس باللاواقعية والفراغ والسأم والسخط، وغالبا ما يكون عدوانيا في سلوكه مع الآخرين، وتتفاعل هذه الأبعاد فيما بينها، وقد يزداد شعور الفرد ببعد أو أكثر من هذه الأبعاد»[1]، وهنا يكمن الاغتراب النفسي بالانفصال عن الآخرين والتخلي عن الحياة الاجتماعية، وهذا ما يوحي لنا بأن أغلب المغتربين نفسيا اغتربوا حتى اجتماعيا وبالتالي فالاغتراب النفسي يولد الإحساس بالألم والشعور بالحزن والانكسار الداخلي الذي يحيل إلى القلق والاكتئاب جراء انعدام الشعور بالتوافق مع قيم الجماعة.

5- الاغتراب الاجتماعي: ويتمثل في شعور الإنسان الفردي باغتراب في مجتمعه نتيجة تعرضه للفصل والتجاهل والتهميش بطريقة ما عن مجمل أفراد مجتمعه وثقافته العامة السائدة، ومن مظاهره أيضا، «الانسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال، والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة، وعدم الشعور بالانتماء بل أيضا انعدام الشعور بمعزى الحياة»[2].

ومنشأ هذا النوع من الاغتراب أساسا هو أزمة معايير تصيب المجتمع في مراحل نموه وتطوراته المتلاحقة، فالعالم الذي يعيش فيه الإنسان هو من صنعه، كما أن النظم السياسية والحضارية والاجتماعية هي الجوهر الاجتماعي الذي بلوره الإنسان أيضا، وتبعا لذلك، فإن الحالة السوية الاعتيادية تتمثل في سيطرة ذلك الجوهر الاجتماعي على تفاعل الأفراد ضمن نطاق المجتمع، فالإنسان دائم التطلع إلى تحسين ظروف معيشته، فعند فشل الفرد في تحقيق معاييره الذاتية، فإنه يشعر بفقدان الأمل بالألم وبمرارة الحرمان ومثل هذا الشعور يجعل الفرد معزولا عن مجتمعه وبالتالي مغتربا [3].

---

[1] - فاطمة محمد حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مديوني، القاهرة، د ط، 1997، ص 04.

[2] - فاطمة عيسى حاسم، غائب طعمة حرمان، روائيا، دراسة فنية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ط، 2004، ص 113.

[3] - المرجع السابق، ص 22-23.

ومع استمرار هيئة نظم المجتمع إزاء الذات المفردة التي تنكفئ على عالمها الداخلي وتنغلق عليه وتستسلم تماما لمعاييره، فإن ذلك من شأنه أن يزيد من تعميق الهوة بينها ومن ثم ينعدم أي شكل من أشكال المشاركة بين الإنسان المغترب ومجتمعه فضلا عن عدم اعترافها ببعضها بل يقصر كل طرف اعترافه على مطلق ذاته وبذلك يصل الاغتراب لدى الفرد الى أقصى درجاته.

6- الاغتراب السياسي: ويتمثل في شعور الفرد باغتراب إزاء الوضع السياسي السائد في بلده والممارسات الاجتماعية التي تجري في مجتمعه، ذلك أن مجموعة الممارسات الاجتماعية في مجتمع ما هي ممارسات إيديولوجية في الأساس، فسلوك الشرائح الاجتماعية مدفوع بمفاهيم وأفكار وقناعات متجسمة في الجسم الاجتماعي ككل، فيها تتأكد مشروعية الأطروحات والمطالبات، وهي في الحقيقة مدار كل النقاش السياسي وكل صراع اجتماعي[1]

وعلى الرغم من أن ظاهرة الاغتراب السياسي تنمو بها حالة من التداخل الشديد وهنا تدفع الباحث إلى حالة التشويش، لتشتت الصورة التي يتخذها الاغتراب إذ يمكن أن نميز في حالات الاغتراب السياسي، عموما بين صنفين رئيسيين هما: الاغتراب الفردي والاغتراب الجماعي، وهنا فالصنف الأول هو الأكثر شيوعا والأقرب صلة بموضوع البحث والنمط السائد المغترب السياسي، إنه الفرض الذي رفض الواقع السياسي لمجتمعه دون أن يكون من الفئات التي رفضها المجتمع[2].

7- الاغتراب الزماني: يعد من الأمور الغامضة لأن الارتباط بين الإنسان والزمن أكثر غموضا من الارتباط بينه وبين المكان، فالمكان ثابت نسبيا، أما الزمن فمتغير وبالتالي فتأثيره النفسي على الإنسان أكثر غموضا أيضا،

[1] - ميشال فوكو، نظام الخطاب، تح، محمد سبيلا، دار التنوير، د ط، 1998، ص 81-82.

[2] - فاطمة محمد حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مديوني، القاهرة، د ط، 1997، ص45

فالإنسان قد يشاهد شيئا معينا أو يحس بإحدى الحواس الخمس أو بأكثر من حاسة واحدة بينما يحتاج الإحساس بالزمن إلى الحاسة الفكرية أو الذهنية [1].

والواقع أن الشواهد التاريخية توضح مواقف بعض المفكرين القدامى والتي تراوحت بين قبولها والرضا عنها وبين رفضها واستنكارها، ويعد الشاعر "هيزيود" Hesiod الذي أورد في سياق ملحمته الشعرية بعنوان "الأعمال والأيام" تفسيرا تشاؤميا لمسار تاريخ البشر مقسما إياه الى خمسة عصور هي:

أ- العصر الذهبي: الذي يعد في نظره في عصر السلام والسعادة.

ب- العصر الفضي: الذي تمتد أعمار البشر فيه إلى مئة عام.

ت- العصر البرونزي: الذي أوجه الاله "زيوس" خلاله الأبطال الذين حاربوا في "طروادة".

ج- العصر الحديدي: وهو عصر الحزن والبغضاء، فالناس مند ذكر العصر ماضون في انحطاط مستمر[2].

وكما هو واضح فإن الشاعر "هيزيود" كان يهيمن عليه الشعور بالاغتراب الزماني وهو في مواجهة مع واقع وأحداث عصره، حيث كان مفتونا بفكرة استرجاع مواصفات العصر الذهبي الذي مضى.

المطلب الثالث: معاناة الاغتراب في رواية عائد إلى قبري لزكية علال

يعتبر الاغتراب ظاهرة إنسانية وجدت بوجود الإنسان، ولعله من أكثر المفاهيم التصاقا بالإنسان، وتعود جذوره الأولى إلى اليونانية وهو متعدد الدلالات بحيث تتداخل فيه جميع الظروف المحيطة بالفرد، سواء النفسية التي تعود في الأساس إلى الكيفية التي نشأ بها الفرد أو الثقافية والحضارية والمتمثلة في جملة من العوامل الاقتصادية

[1] - يحي العبد الله، الاغتراب دراسة تحليلية شخصيات الطاهر بن جلوت الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 22.

[2] - نبيل عبد الحميد، مدخل لدراسة الفلسفة اليونانية، منشورات كلية بابل للفلسفة، واللاهوت، أربيل، د ط، 2008، ص 47.

والاجتماعية والسياسية، والاغتراب بحد ذاته يعني التباعد، والغياب، النزوح، الاختفاء، ويتفق على أنها حالة شعورية يمر بها الفرد نتيجة تغيير المكان الذي يعيش فيه، أما في اللغة اللاتينية فقد استخدم لفظ الاغتراب بعدة معان هي تحويل شيء ما لملكية شخص آخر، ونزع الملكية وقد تطرقت الروائية **"زكية علال"** في رواية عائد إلى قبري بعض أنواع الاغتراب والتي كانت تحض بعض الشخصيات الروائية.

وهنا سأحاول الإشارة إلى نوع الاغتراب الذي تجلى في الرواية:

أولا– الغربة المكانية:

ويلاحظ أنها تتميز بالحضور بشكل مكثف في الرواية، وقد تجلت في سفر**"يوسف"** في بداية الرواية من الريف إلى المدينة وبعد فترة زمنية أي بعد ولوجه عالم الصحافة يسافر إلى بغداد فنجد الغربة المكانية تتمظهر في الرواية بقول**"يوسف"**«المنطق يتعثر كما تعثر في بغداد وجعلني أعود إلى أهلي ببقايا رجل وبعصا أهش بها على انكساري الذي يتفرق حينا ثم يعود ليلتف حولي»[1].

فالغربة المكانية هنا تتمخض في عودة **"يوسف"** إلى بلده وأهله بعد أن كان في ديار الغربة ببغداد ورجوعه خالي الوفاض جراء انكساره النفسي والجسدي فالمكان يتجلى في بغداد بالعراق.

بالإضافة إلى تمظهره خلال قوله «احش بالألم كلما تصورت أني سأغادر العاصمة واخلف ورائي **"سعاد"**لخيبة ممتدة»[2]

[1] – زكية علال، عائد إلى قبري، دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2015م، ص12، 13.

[2] – المصدر السابق، ص 128.

يشير"**يوسف**"إلى انه سيترك بلده ويسافر إلى بغداد تاركا وراءه "**سعاد**"تتخبط في خيبة الأمور والحزن ومرارة الفراق.

ثانيا– الاغتراب النفسي:

وهو سياق يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غربة في العالم وفتور أو جفاء في علاقته بالآخرين، فالانفصال عن الذات والواقع وشعور الإنسان باختلافه وافتقاد الإحساس بالعلاقة بينهما، ومن ثم انعدام الشعور بالقدرة على تغيير الواقع أو افتقاد القدرة على اكتشاف القيمة في الحياة كل ذلك قد يخلق حالة من اغتراب الذات من الخارج وهذا اللون من الاغتراب ليس إلا درجة متأخرة في سلم الحالات الاغترابية التي قد تصيب الإنسان إذ انه غالبا ما يكون نتيجة طبيعة للغربة المادية–المكانية، فمصطلح الاغتراب هنا يحمل دلالة على أحوال النفسية وهذا ما تجسد في الرواية بقول "**يوسف**":«عندما وقفت في المطار لأمارس طقوس الوداع....تمنيت حينها لو أن عقارب المسافة تحس أنفاسها ليظل اضطرابي ممددا على راحتها.....أحسست وأنا اسحب يدي إني تركت في كفها بعض دمي وان ملامح القلق بدت على وجهها....لتضمني إليها بأمومة طاغية لم أعهدها من قبل....لكن الحلم تحرر من حضن الحبيبة ومضى شامخا....» [1].

وهنا نلاحظ حصرة "**يوسف**"وحزنه بعد أن خلف"**سعاد**"ورائه بعد أن ودعها ببرود وإحساسه بعد المصافحة كأنه ترك الدم في كفها من لهفة الوداع فكان يتأمل لو كان الوداع يغير هذه الطريقة، فهو ليس يدري لماذا امتلأ فجأة بشعور آمن من الغربة بعد الوداع، فالطريق أمامه مجهولة ولا يدري إن كانت لها نهاية، بالإضافة إلى أن ذلك الوداع انتهى كشكل من أشكال الغربة بعد أن ابتعد عن حبيبته ويتمظهر في تعبيره عن الحلم الذي

[1] – المصدر السابق، 174.

تحرر من حضن الحبيبة ومضى شامخا وتلك كانت بداية الاغتراب عن حبيبته وولوجه دوامة نفسية جراء الانكسار الذي تعرض له والتمزق الذي امتد إلى روحه ويقول **"يوسف"**على لسان الروائية«**سعاد**...لا املك إلا أن أفكر فيها زوجه تهدا عن روحها الطيبة أنفاسي اللاهثة في ممران عمر هارب...**"إنعام"**...لا املك إن أفكر فيها زوجة، لأنها ستشتت ما تبقى في الروح من هدوء وسكينة»[1].

وهنا نرى أن **"يوسف"**لا يزال يستحفظ بوجود **"سعاد"**في قلبه ورغبته في أن تكون زوجته، وشعوره بأنها كل ما تبقى لديه فقد أحبها قلبا وقالبا فقد كان يجد طيبة روحها وسيلة تقربه إلى روحه، آما انعدام فقد كان يحبها كشعوره بالانتماء ولا يقارن بحبه ل**"سعاد"**، ويمتزج هذا المونولوج مع مناجاة النفس في ذهن "يوسف""**فسعاد**"غائبة جسديا لكن موجودة فكريا في قلب وعقل**"يوسف"** أما **"إنعام"** فهي حاضرة وحتى وإن أحبها لكن ليس بنفس حب**"سعاد"**، فمدة غيابه عن الوطن بعد أن أعياه الانتظار"الزواج **سعاد"**وتطلعه بلهفة أن يجتمعا معا تحت سقف واحد جعله يسترجع حنينه إليها وهذا ما تجلى في قوله.

فالحرمان العاطفي سبب وجود الاغتراب النفسي في هذا القول.

كما يتجلى أيضا الاغتراب النفسي في قوله«أحب **"سعاد"**ولا أتصور نفسي أتنفس في عالم تغيب عنه، ولهذا حملت طيفها معي حتى ليجاورني عند خط النار...أحب أختي **"مريم"**، وأحسها قريبة من نبضي رغم بعدها عني....» [2].

وبهذا القول نلاحظ أن**"يوسف"**يسترجع صور وذكريات حبيبته**"سعاد"**لتسانده في محنته ومن العوامل التي ساهمت في استحضار هذا الجانب من الاغتراب النفسي وهي الحرب بالعراق والأزمات التي تعانيها.

---

[1] – المصدر نفسه، ص221.

[2] – المصدر السابق، ص 229.

أما أخته **"سعاد"**فيستحضرها أيضا في غربته حيث يحن ويشتاق لها جراء حاجته لها.

هاته بعض النماذج التي لمسناها في رواية **"عائد إلى** قبري"ل**"زكية علال"**حول أنواع الاغتراب الذي يعد عامة من الاضطراب واليأس والإحساس بالعجز والانفصال عن الذات وعن الآخرين، يتوجب على كل الجهود في مختلف مجالات التنمية والرعاية والتأهيل.وهنا نلتمس الاغتراب النفسي ثانيا.

غير أن هذا الاغتراب مختلفا ومتنوعا تبعا للتكوين الداخلي للشخصية ولما لحقها جراء الانتقال أو الانفصال عن الأرض والوطن.

المبحث الثاني: الاستبداد السلطوي

المطلب الأول: تعريف الاستبداد

أ– لغة:

جاء في كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد لعبد الرحمن الكواكبي أن الاستبداد لغة هو « غور المرء والأنفة عن قبول النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة، حيث يراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة، لأنها أعظم مظاهر أضراره التي جعلت الإنسان أشقى ذوي الحياة، وأما تحكم النفس على العقل، وتحكم الأب والأستاذ والزوج ورؤساء بعض الأديان وبعض الشركات وبعض الطبقات، فيوصف بالاستبداد مجازا أو مع الاضافة »[1]، فالاستبداد يعني التسلط والتحكم في حق مشترك.

ب– اصطلاحا:

الاستبداد داء تبتلى به بعض الشعوب في بعض مراحل التاريخ وهو أسوء أنواع السياسة وأكثرها فتكا بالإنسان، ويعير الإنسان في المجتمع المحكوم بالظلم والطغيان، « وهو تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة، وقد تطرق مزيدات على هذا المعنى الاصطلاحي فيستعملون في مقام كلمة (استبداد) كلمات: استعباد، واعتساف، وتسلط، وتحكم في مقابلتها كلمات: مساواة، وحس مشترك، وتكافؤ، وسلطة عامة، ويستعملون في مقام صفة (مستبد) كلمات: جبار، وطاغية، وحاكم، بأمره وحاكم مطلق، وفي مقابله (حكومة مستبدة) كلمات عادلة ومسؤولة، ومقيدة، ودستورية، ويستعملون في مقام وصف الرعية (المستبد عليهم) كلمات:اسرى ومستصغرين، وبؤساء، ومستنبتين، وفي مقابلتها: أحرار، وأباة، وأحياء، وأعزاء.

[1] – عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصر، د ط، ص 15.

هذا تعريف الاستبداد بأسلوب ذكر المرادفات والمقابلات، وأما تعريفه بالوصف فهو أن الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلا، أو حكما، التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين، وتفسير ذلك هو كون الحكومة إما هي غير مكلفة بتطبيق تصرفها على شريعة أو على أمثلة تقليدية او على ارادة امة وهذه حالة احكومات المطلقة او هي مقيدة بنوع من ذلك ولكنها تملك بنفوذها إبطال قوة القيد بما تهوى، وهذه حالة أكثر الحكومات التي تسمي نفسها المقيدة أو بالجمهورية»[1]، أي أنه أحد أنواع الظلم والتعسف والتسلط فهو أسلوب مستهجن للحكم ينفرد فيه المستبد بشيء هو حق مشترك ويتصرف فيه تبعا لهواه.

المطلب الثاني: تعريف السلطة

أ– لغة:

يندرج مفهوم السلطة بصورة واضحة، ضمن تقاليد اللغة العربية التقليدية، ومحاولة ربطه بتجلياته المختلفة، فقد ورد في «لسان العرب لابن منظور تحت مادة سلَطَ، سلُطَ، السلاطة، القهر، وقد سلطه الله وتسلط عليهم، والاسم سلطة البضم»[2].

وترتبط السلطة بفصاحة اللسان وقوة البرهان « ورجل سليط، أي فصيح حديد اللسان بين السلاطة والسلوطة»[3].

وبهذا المعنى، فإن اللغة تعد سلطة داخل سلطة السياسة لا تقل أهميتها عن أهمية المال والاحتماء بالعصبية.

---

[1] – المرجع السابق، ص 15-16.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر حير، المجلد السابع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ص 361.

[3] – المرجع نفسه، ص 361.

ومن السلطة يشتق السلطان، ومعناه الحجة والبرهان، وهو مشتق من السليط أي ما يضاء به

«والسلطان إنما سمي سلطانا، لأنه حجة الله في أرضه، قال: واشتقاق السلطان من السليط قال: والسليط ما يضاء به»[1].

والسلطان: الحجة ولذلك قيل للأمراء سلاطين، لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق.

والسلطان:الوالي وهو فعلان وجمعه سلاطين، والسلطان قدوة الملك.

وتبين صورة هذا المفهوم، أن اللغة العربية المعجمية تركز على جانب التسلط في مفهوم السلطة لقوله تعالى: «ولكن الله يسلط رسله على من يشاء»[2].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: «أي هو قدير لايغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء»[3]، ومنه سمي السلطان "ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا"[4].

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسير هذه الآية: «سلطانا: أي حجة ظاهرة على القصاص من القاتل، وجعلنا له أيضا سلطانا قدريا على ذلك، ولذلك حينما تجتمع الشروط الموجبة للقصاص»[5].

---

[1] – ينظر، المرجع نفسه، ص 362.

[2] – سورة الحشر الآية 6.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج6، ط1، 1990، ص 354.

[4]– سورة الاسراء الآية 33

[5] – عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 432.

تبين الآية من سورة الحشر أن التسلط يرتبط بالقدرة والمغالبة التي لا تقبل الممانعة فالله تعالى هو القاهر الغالب القدير الذي لا مانع لأمره، أما الآية الكريمة من سورة الإسراء وكما تشير إلى ذلك تفاسير العلماء، فانها تعطي لمفهوم السلطة معنى آخر يرتبط بالحجة والبرهان، وهي حجة يتخذها ولي المقتول للقاص حينما تتوفر شروطه وهنا يجمع القرآن الكريم في تفسيره لمعنى السلطة، بين التسلط والقهر من جهة، والحجة والبرهان من جهة ثانية.

ولم يضف الفيروز أبادي في معجمه « "القاموس المحيط" الشيء الجديد عما ذكر في لسان العرب، فقد ورد أن "السلطان" الحجة، وقدرة الملك، وتضم الأمة، والوافي مؤنث، لأنه جمع سليط للذهن، كأن يضيء الملك أو لأنه بمعنى الحجة»[1].

وفي ذلك ارتباط وثيق بين القدرة على القيادة وامتلاك حجة الإقناع والبرهان، من أجل سياسة الغير وإخضاعهم.

وفي إطار المحاولات الجارية، لتطوير المفاهيم الإنسانية في اللغة العربية، فقد عرف جميل صليبا السلطة بالقول «السلطة في اللغة: هي القدرة والقوة على الشيء، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره، ويطلق مفهوم السلطة النفسية على الشخص الذي يستطيع فرض إرادته على الآخرين، لقوة شخصيته وثبات جنانه، وحسن إشارته، وسحر بيانه، أما السلطة الشرعية، فهو مفهوم يطلق على السلطة المعترف بها في القانون كسلطة الحاكم، والوالي، والوالد والقائد»[2].

[1] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تقديم وتعليق نصر المورييني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2007، ص 693.

[2] – ينظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1991، ص 670.

كما ترتبط بالأخلاق كذلك، من حيث إشارتها إلى النفوذ المعترف به كليا فهي «مفهوم أخلاقي يشير إلى النفوذ المعترف به كليا للفرد، أو لنسق من وجهات النظر أو لتنظيم مستمد من خصائص معينة، وقد تكون السلطة سياسية أو أخلاقية وعلمية»[1].

أما الخليل بن أحمد الفراهيدي اعتبر أن مصدر السلطة من «سلط: السلاطة مصدر السليط [من الرجال والسليطة من النساء، والفعل سلطت إذا طال لسانها واشتد صخبها، ورجل سليط. والسليط: الزيت: قال:

ولكن ديامى أبوه وأمه بنجران يعصرن السليط ترائبه

والسلطان في معنى الحجة: «قال تعالى «هلك عني سُلطانيه»[الحاقة: 29] أيحجيته»[2] والسلطان: قدرة الملك [مثل فقير وفقران وبعير وبعران] وقدرة من جعل ذلك له وإن لم يكن ملكا، كقولك: جعلت له سلطانا على أخذ حقي من فلان والنون في "سلطان" زائدة واصله من التسليط: والسلاط: القليل: قال المتنخل: وأخشى ألا الاقي ذا سيلاط»[3].

وعليه فقد أخذت مفردة السلطة في المعاجم العربية معنى الحجة والوالي اي القائد كما تشير الى النفود المرتبط بالاخلاق.

[1] – لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط6، 1987، ص 248-249.

[2] سورة الحاقة، ص 29.

[3] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب "العين" مرتبا على حروف المعجم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 274.

ب– اصطلاحا:

جاء في كتاب ناصيف نصار أن مفهوم السلطة في الاصطلاح محل اختلاف الفلاسفة والعلماء، ومن الصعوبة العثور على تعريف دقيق، متفق بشأنه حول السلطة، ويعود السبب في ذلك إلى جملة من العوامل، منها الامتداد التاريخي للسلطة من حيث المفهوم ومن حيث الممارسة، فما يصدق على سلطة المدينة لا يصدق على السلطة في الدولة الحديثة، سواء تعلق الأمر بنظرة الفلاسفة إلى الشعب، من حيث كونه المصدر الوحيد للسلطة، أو مجرد محكوم عليه واجب الطاعة أو تعلق الأمر بطبيعة السلطة في ذاتها، من حيث المفهوم ومن حيث الوظائف، ومدى التمييز بين سلطة الدولة وسلطة الحاكم، هذا علاوة على تعدد مجالات دراسة السلطة، وتعدد السلطات واختلاف وظائفها، ذلك أن نظرة الفيلسوف إلى السلطة من حيث كونها تقوم على الجانب النظري تختلف عن نظرة العالم التي تترع إلى البحث الواقعي الموضوعي.

فنظرة الفيلسوف إلى السلطة هي نظرة مجردة شاملة وكلية، لا يتقيد فيها بسلطة معينة أو يلحقها بفترة بعينها، بل يتأملها بوصفها تنظيما ضروريا بصفة مطلقة بصرف النظر عن أصل تلك الضرورة، والفيلسوف بحكم تأملاته يبني نظرته إلى السلطة من وجهة نظر فلسفية، من دون إلحاقها بالتاريخ والدين والإيديولوجية أو الاجتماع، فالتساؤل: هل السلطة ينبغي أن تستمد مشروعيتها من رحم الإدارة الشعبية؟ أم هي ضرورة يفرضها الحاكم على المحكومين؟

هو في جوهره سؤال فلسفي يصرف النظر عن المكان والزمان الذي يخص هذه السلطة، إضافة إلى أن النظرة الفلسفية للمشكلة تتصف بالطابع العقلاني، إذ المنطلقات عقلية والمنهج تأملي، والاستنتاج نظري، وهي

نظرة نقدية للأنظمة الكلية[1].

«ويظهر أن تصور هيغل للسلطة نابع من فلسفته المثالية، إذ يمثل النظرة الفلسفية لها بوصفها فكرة كلية وعقلية، ومن حيث كونها غاية في ذاتها تتحقق في إطارها إنسانية الإنسان وحريته، ولعل خصائص التصور الفلسفي للسلطة تمتد لتشمل أيضا الفلسفات الواقعية التي لا تهتم بفهم الواقع الاجتماعي فحسب بل تسعى لتغييره، فلو أخذنا على سبيل المثال الفلسفة الماركسية لوجدنا أن كارل ماركس k.Marx (1818-1883) استعار من هيغل منهجه الجدلي، رافضا قلب الأمور عنده، حيث جعل محرك التاريخ هو الإنسان وليست الفكرة، وان تطور البشريةوانتقالها مننظام الى اخر كان نتيجة الصراع بين طبقتين ولن تستطيع الطبقة المستقلة أن تعيش ما لم تقاوم الاضطهاد والاستغلال، وخلال التاريخ البشري قام الصراع بين المستغلين، والعامة ضد النبلاء، والأتباع ضد الأشراف والبروليتاريا ضد الرأسمالية»[2]، وعليه فالسلطة أداة تستخدمها الجماعة الحاكمة، ليست بهدف تحقيق التنمية، ورفاهية الجماعة إلى طبقات متصارعة، ما أدى بالطبقة إلى احتكار ملكية الإنتاج واستغلال سائر الطبقات الأخرى، وتخيرها لخدمة مصالحها والحفاظ عليها. «والحتمية التاريخية حسب ماركس، تفرض الانتقال التاريخي من الرأسمالية إلى الشيوعية، حيث تفقد الدولة قيمتها لتزول لاحقا وتزول معها السلطة التي كانت أداة للقهر والاستغلال، على أن الأمر لن يكون فجائيا بقدر ما يكون تدريجيا يقضي وجود فترة انتقالية لإعداد النفوس للقبول بالحالة الشيوعية التي لا حاجة لها إلى الدولة وهذا ما يمكن الشعوب من الوصول إلى منتهى السعادة وقمة التطور»[3]، فماركس هنا يقر ويرى بأن الدولة عندما تفقد توازنها فإنها بالضرورة تفقد سلطتها، فهي أداة للقهر والظلم والاستغلال.

---

[1] – ينظر، ناصيف نصار، التفكير والهجرة (من التراث إلى النهضة العربية الثانية)، دار النهار، بيروت، ط1، 1997، ص 85.

[2] – عبد الحميد متولي، الوجيز في النظريات والأنظمة السياسية، دار المعارف، القاهرة، (د ط، 1959، ص 365.)

[3] – محمد كامل ليلة، النظم السياسية (الدولة والحكومة)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1969، ص 215.

ويقر "ناصيف" أن التفكير في السلطة يحتل موقعا هاما، وذلك بالنظر إلى التناقض البادي في توظيف السلطة والتي يطغى عليها نظام التعسف والتسلط من جهة، ومن جهة أخرى نظرا لتماهي سلطة الحاكم مع سلطة الدولة، ما يفضي إلى أنظمة غير ديموقراطية في المجتمعات العربية خصوصا، لذا وجب التحديد الدقيق لماهية السلطة، التي ينبغي أن تكون شرعية بالفعل «فإذا كانت السلطة سلطة، كانت بالفعل نفسه شرعية، وانتفى إمكان وصفها بغير الشرعية، وإذا كانت غير شرعية فإنها ليست سلطة»[1].

فناصيف هنا يرى بأن السلطة يغلب عليها قانون التعسف والتسلط والتحكم، حيث أن السلطة تشترط الشرعية لكي تكون سلطة، أما إذا كانت غير شرعية أو غير قانونية فلا تسمى سلطة، لأن السلطة تخضع للقانون.

المطلب الثالث: الاستبداد السلطوي في رواية عائد إلى قبري لزكية علال

يعتبر الاستبداد السلطوي مصطلح سياسي وهو من الظواهر السلبية المنتشرة في الدول المتخلفة، حيث تمارس الفئة الحاكمة سياسات استبدادية وديكتاتورية على شعوبهم من قهر وترهيب واستعمال القوة حيث تفوض فيها الحريات العامة وتكمم الأفواه وتلوى الأقلام، وتصبح الأغلبية من الشعب في يد الأقلية الحاكمة، وهو شكل من أشكال الحكم تدير فيه البلاد فئة قليلة من الناس، ويسهم بقية السكان بقسط ضئيل في صنع القرار، ويتمثل التسلط في نماذج من الحكومات الاستبدادية والديكتاتورية حيث تختلف أهداف هذه الحكومات التسلطية وأساليبها، ففي الدولة الديكتاتورية مثلا يحاول القادة تغيير المجتمع وفقا لمجموعة من المبادئ، وقد يكون الحكم في الدولة المستبدة مهتما فقط بالحصول على الثروة الشخصية والسلطة وتقوم بعد الدول التسلطية باستخدام السلطة بصورة قاسية وظالمة، وهذا ما تجلى في رواية**"عائد إلى قبري"**ل**"زكية علال"**.

[1] – ناصيف نصار، منطق السلطة (مدخل إلى فلسفة الأمر)، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1995، ص 14.

فنجد الروائية "زكية علال" تصور لنا بعض المشاهد حول هذه الظاهرة ونلمس ذلك في قولها«ألا تذكرون حالة المير قبل أن يصبح على عرش البلدية....جاء فقيرا ومعدما، وعدنا بأنه سيغير كثيرا من وجه القرية....لكن المير رفع العنان عن نفسه وتغير هو في مسكنه وملبسه»[1].

وهنا نجدان المير اتخذ الشعب وسيلة للوصول إلى الحكم، فقد كان يعدهم بإصلاح بعض الأمور والقيام ببعض المشاريع التنموية في القرية لكنه لم يطبق شيئا مما قال، فقد كان يستعن بالوعود الكاذبة لتحقيق هدف الوصول إلى الكرسي ونهب أموال الشعب الفقير، فالمعيشة الصعبة وظروف الريفيين كانت سببا في اختيار المير بعد كان هو أيضا فقيرا ومعدما وأصبح مليونيرا بأموال الغير، فهو لم يرفع العنان عن أهل القرية بل غيره عن نفسه فاصطبح يعيش الرفاهية والشعب يتخبط في الفقر.

كما نلتمس أيضا الاستبداد السلطوي في قولها:«هذا المواطن القنوع دائما اكتفى برقصة، ''القياد'' والخونة استولوا على كنوز الاستقلال وتحكموا في رقاب العباد...» [2]، وتضيف أيضا:«الطريق لن يفتح إلا بحضور الوالي الذي سيستيقظ من نومه على مهل وسينظر في شؤون الرعية على مهل أيضا»[3].

فهي في هاذين المقطعين تبين لنا حالة الاستبداد السلطوي في المقطع الأول من خلال استغلال"القياد" والخونة للمواطن الذي كان مشغول بالاحتفال باستغلال وطنه، فقد كانوا يستغلون الفرصة بنهب ثروات البلاد التي ضحى الشعب بدمائه مقابلا لها، وقد استوضح ذلك في قولها: بينما استولوا على كنوز الاستقلال، فسيادة الحكام هنا تتمثل في المنفعة من الشعب، وظروف البلد كانت سببا للاحتكار في المجتمع من طرف الخونة، كما أن التسلط كان من خلال الاستفادة من موقع السلطة والتجبر والأنانية في اتخاذ بعض القرارات دون علم المواطنين،

[1] – زكية علال، عائد إلى قبري، دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2015ص26.
[2] – المصدر نفسه، ص95.
[3] – المصدر نفسه، ص100.

أما القول الثاني فيبين لنا مدى سوء استخدام السلطة وعدم تحمل مسؤولية القيادة ومراعاة أحوال الشعب، فالوالي مثلا نجده غير مبالي في عمله ولا يهتم بشؤون الرعية.

وفي مثال آخر تقول على لسان **"يوسف"**:«وكم من دكتاتور متجبر عبث الشارع بقوته وحوله إلى بالونة مثقوبة تتطاير أجزاؤها بتطاير انتفاخها الوهمي في الهواء»[1].

وتضيف أيضا«صورة عمر أو ريتلان...وهو يسقط شهيد السلطة الرابعة التي كانت تتمثل لي وأنا أحرر عمود الصباح»[2].

ونستنتج من هذا القول وجود التجبر والعبث بالسلطة، وعدم إعطاء أهمية للشعب، بالإضافة إلى غياب العدل وغياب مساحة الحوار بين الرغبة والحاكم، إلا بوسيلة واحدة وهي التذبذب والخروج للشارع لإعادة الحق المسلوب وهذا ما يجعل الدكتاتور الخروج بالقوة لإبادة الشعب حتى وان كان مظلوم، وبخصوص القول الثاني فنرى أن الظلم بادي في مطلع القول بصورة استشهاد عمر أورتيلان بعد كان يرصد كل ما كان يحدث من تلاعبات في البلد، وهذا ما حاز في نفس المستبدين أصحاب السلطة الذين اغتالوه لأنه كان يقول كلمة الحق في كل ما يعنيه الشعب من ظلم جائر.

وفي الختام يمكننا القول بان الاستبداد السلطوي من المفاهيم المعقدة، التي تعني الحق في اتخاذ قرارات تدعم تصرفات المرؤوسين وأفعالهم وهي القدرة والقوة التي يملكها الفرد، أو المجموعة بالتأثير على الغير، فالاستبداد السلطوي يعرض الشعوب والأمم للظلم وبالتالي ضياع حقوقهم وغياب العدل وهذا ما يجعلهم تحت أيدي المستبدين من الأقلية الحاكمة.

---

[1] – المصدر السابق ، ص103.

[2] – المصدر نفسه ، ص144.

المبحث الثالث الظلم والفساد الاجتماعي

المطلب الأول الظلم

أولا– تعريف الظلم

أ– لغة:

الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء «وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو زيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه ومن هذا يقال ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته، ويسمى ذلك اللبن الظليم، وظلمت الأرض حفرتها ولم تكن موضعا للحفر وتلك الأرض يقال لها: المظلومة والتراب الذي يخرج منها ظليم»[1].

ومن أمثال العرب في الشبه «من أشبه أباه فما ظلمن قال الأصمعي: ما ظلم أي ما وضع الشبه في غير موضعه، وأصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد»[2].

وفي التنزيل العزيز: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...» [3].

والظلم: الميل عن القصد والعرب تقول:«إلزم هذا الصوب ولا تظلم عنه: أي لا تجر عنه، فالظلم: مصدر

---

[1] – ينظر المعاجم التالية، الراغب الأصفهاني، أبي القاسم حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مراجعة وائل عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، مصر، 2003، ص 318، الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ج1، ص 192، ابن عباد إسماعيل، المحيط في اللغة، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ، ج2، ص 390.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، ج12، مرجع سابق، ص 373.

[3] – سورة الأنعام، الآية 82.

حقيقي والظلم: الاسم يقوم مقام المصدر، وهو ظالم وظلوم»[1].

ومن خلال التعريفات السابقة نخلص إلى أن مفهوم الظلم في المعاجم اللغوية يعني التعدي على حقوق الآخرين وهضمها وهو نوع من الجور وانحراف عن العدل، يجلب غضب الله تعالى ويتسط على الظالم بشتى أنواع العذاب، وهو يخرب الديار، وبسببه تنهار الدول والمجتمعات.

اصطلاحا: وضع الشيء في غير موضعه، ومبارزة الرب بمخالفة شرعه والتعدي على حقوق الغير.

وقال ابن رجب رحمه الله:« الظلم المطلق أخذ ما ليس له أخذه، لاشيء منه، من مال، أو دم أو عرض»[2]، فالظلم إذن هو انتهاك حق الآخر عدوانا والإساءة إليه، وأخذ ما ليس له أن يأخذه من مال أو عرض أو دم.

وقيل: « هو عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور، والتصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد»[3]، فالظلم محرم في شريعة الله تعالى، وهو صنع الشيء في غير موضعه والتصرف في ملك الغير وانتهاك حقوقهم وهو أيضا انحراف عن العدل ونوع من الجور حرمه الله تعالى على نفسه وعلى عباده.

وأما الظالم فهو المعتدي على غيره « صاحب الكبيرة»[4]، فهو المبتعد عن الطريق المستقيم.

---

[1] – جمال عبد المنعم الكومي، ثمانون حديثا في الظلم والظلمة والمظلومين، مراجعة وتقديم، حسن عاشور، دار الاعتصام، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، 1992، ص 8.

[2] – الحنبلي، عبد الرحمن بن رجب الحسن، شرح حديث بن لبيك اللهم لبيك، تحقيق، وليد عبد الرحمن محمد آل مزيان، ط1، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، 1417هـ، 1996م، ص 13.

[3]– البركتي محمد عميم الاحسان المجددي، تعريفات الفقهية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ص139

[4]– علي ابو الطيب محمد صديق خان بن حسن، فتح البيا نفي مقاصد القران، (15ج)، تحقيق، عبد الله ابراهيم الانصاري، بيروت، المكتبة العصرية، 1412هـ-1992م، (248/11)

فمن خلال هذا نخلص إلى أن الظالم هو من يسيء إلى الآخرين ويأخذ حقوقهم جورا من غير حق فيستخدم قوته كسلاح يحارب به خصمه وهو سلوك ذميم ناتج عن نقص الإيمان والابتعاد عن الطريق المستقيم، إذ يعتبر سبب لحرمانه من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

ب– الفساد:

لا يوجد هناك تعريف محدد للفساد بالمعني الذي يستخدم فيه هذا المصطلح اليوم، رغم اتفاق معظم المختصين على ارتباط معني الفساد بما هو شيء في المجمل، إذ لا يوجد تعريف جامع مانع لماهية الفساد، ويرجع اختلاف الباحثين حول تعريف الفساد، إلى أن الفساد كغيره من الظواهر السياسية والاجتماعية بتأثير بمجموعة من العوامل المتداخلة والتي قد تختلف من مجتمع لأخر.

المطلب الثاني: الفساد

أولا– تعريف الفساد

أ– لغة

من الثلاثي «ف– س–د: وهو أصل يدل على الخروج »[1]، «يقال فَسَدَ وَيُفْسِدُ وَفَسد، فَسَادًا وَفُسُودًا، تَفَاسَدَ القَوْمُ، تدابروا والمفسدة، خلاف المصلحة والإستفساد: خلاف الاستصلاح»[2].

[1] – المفردات غريب القرآن، دار المعرفة– بيروت– ط3، 2001، ص 381.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1، 1990– مادة فسد 335/01 الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح، عبد الحميد الهنداوي، دار الكتاب العلمية المجلد الثاني، بيروت لبنان، ط الأولى، 2003، ص 321.

والفساد: نقيض الصالح وفسد، يفسد، أفسدته.[1]

وقال الفيروز أبادي في «القاموس المحيط، فسد كعصر والفساد: أخد المال ظلما والمفسدة ضد المصلحة، وتفاسد القوم يعني تقاطعوا الأرحام»[2]

وبهذا فإن مصطلح الفساد لطالما تنوع تعريفه اللغوي من معجم إلى آخر وكل من التعريفات يوصلنا أن هذا المصطلح يقابله الصلاح، والإفساد يقابله الإصلاح ولعل ذلك ما يشير إلى دقة اللغة فالمرء تجاه الفساد: لا يعدو أن يكون فاسدا أو مفسدا وتجاه الصلاح هو صالح ومصلح.

أما معجم مقاييس اللغة لأن فارس ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس، وعزين القرون فالفساد فيه: «فسد: الفاء والسين والدال كلمة واحدة، وهو أصل يدل على خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا والجمع: فسدى، والاسم: الفساد: يقال: فسد الشيء يفسده فسادا وهو فسد أي: بطل واضمحل: والفساد نقيض الصلاح، والمفسدة ضد المصلحة والإستفساد خلاف الاستصلاح وقالوا هذا الأمر مفسدة لكذا أي فيه فساد: فالفساد، التلف، العطب، والاضطراب والخلل والجدب والقحط وإلحاق الضرر »[3].

كما أن مصطلح الفساد ظهر في القرآن الكريم في عدة أبات قرآنية ومنها:

قال الله تعالى: «**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس**».[4]

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح، عبد الحميد الهنداوي، دار الكتاب العلمية المجلد الثاني، بيروت لبنان، ط الأولى، 2003، ص 321.

[2] – الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ص444.

[3] – ينظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب الفاء والسين، ج 2، ص354-355، ابن منظور لسان العرب، باب الأول، فضل السين- ج 3، ص335. الزبيدي –تاج العروس- ص3163. الأصفهاني مفردات عزيب القرآن – ج1 ص369 – أحمد الفيومي- المصباح المزج، ج1، ص235.

[4] – سورة الروم، آية41.

وقال الله تعالى: «**ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم**».[1]

فالآية الأولى جاءت للتعبير عن معان عدة بحسب موقعه فهو الجذب والقحط أما الثانية وبدل على التمييز بين المصطلح والمفسد.

يقول ابن منظور في لسان العرب في باب "فسد":

«الفساد نقيض الصلاح وفسد ويفسد، فسادا وفسد فيه ولا يقال أنفسد وأفسدته أنا واستفد السلطان قائده: إذا أساء إليه حتى استعصي عليه والمفسدة خلاف المصلحة والاستفساد والاستصلاح، ويقال أفسد فلان المال، يفسده إفسادا وفسادا والله لا يحب الفساد»[2] ومن خلال هذا القول لابن منظور نصل إلى نتيجة مفادها أن الفساد هو كل ما هو خطئ بانتهاك الواجبات، وخرق السلوك والقانون.

ب– اصطلاحا:

ليس هناك تعريف محدد للفساد بال معني الذي يستخدم فيه هذا المصطلح اليوم، لكن هناك اتجاهات مختلفة تتفق في كون الفساد هو إعادة استعمال ما هو في الطبيعة:

«ولقد عرف في الشريعة الإسلامية على أنه جميع المحرمات والمكروهات شرعا، كما عرفه جمهور الفقهاء على أنه مخالفة الفعل الشرعي، فالفساد يعني الخروج عن الاعتدال سواء كان هذا الخروج كثيرا أو قليلا»[3] فالفساد إذن يشمل كل أنواع التعدي علي الناس والمجتمع الأمن وانتهاء حقوقهم بالقيام بممارسات غير مقبولة

[1] – سورة البقرة، آية 220.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني– دار لسان العرب، ب.ن، ص 1095.

[3] – محمد مدني بوساق، المعروف بالفساد وصورة من الجهة الشرعية، الجزائر، الخلدونية، 2009، ص06.

مخالفة لشرع أما بالرجوع إلى المعاجم والموسوعات نلمس التبيين في تعريفاته ففي حين بعضهم أنه، إقناع شخص عن طريق وسائل خاطئة بالرشوة بانتهاك الواجب المرقي عليه نجد بعضهم يعرفه بأنه سلوك يتحرف عن الواجبات الرسمية لدور عام بسبب مكاسب خاصة أو سلوك يخرق القانون عن طريق ممارسة بعض أنواع السلوك الذي يراعي المصلحة الخاصة وبهذا نجد تعريف الفساد متعدد الجوانب والاتجاهات «كما يختلف باختلاف الزاوية التي ينظر إليها من خلالها المهتم ما بين رؤية سياسية، اقتصادية، اجتماعية، إدارية من أجل تحقيق منفعة لجماعة أو طبلة ما بالطريقة التي يترتب عليها خرق القانون ومعايير السلوك الأخلاقي».[1]

أما من ناحية المفهوم فنعرف الفساد على أنه «القيام بأعمال تمثل أداء غير سليم للواجب أو إساءة استغلال لموقع أو سلطة بما في ذلك أفعال الإغفال توقعا لمزية أو سعيا غير سليم للواجب، أو سعيا للحصول على مزية يوعد بها أو تعرض، أو تطلب بشكل مباشر أو غير مباشر أو أثر قبول مزية ممنوحة بشكل سواء للشخص ذاته أو صالح شخص آخر»[2] وعليه فكلمة فساد في ذاتها تمثل صعوبة أخرى، إذ يختلف تعريفها بحسب زمان ومكان استخدامها بعض الممارسات بعض قديما كانت مقبولة إلا أنه مع التطور في العصور أصبح الفساد أكبر، وهذا ما يجعل تحديد المعنى أمرا صعبا بسبب تنوع الأنشطة فقد يكون الفساد إداريا، سياسيا، اقتصاديا أو اجتماعيا أي أن هذا المفهوم لا يقتصر على تفسير الكلمة من الناحية اللغوية فقط، بل بتحليل مدلولها وجانبها الذي يعطيها ميزة خاصة.

[1] – مشتار –السيد علي– الفساد الإداري ومجتمع المستقبل، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2003م، ص43-44.

[2] – علي جعفر عبد السلام –التعريف وصوره من الفساد من الوجهة الشرعية في أبحاث المؤتمر الدولي لمكافحة الفساد، المجلد الأول أكاديمية نايف، الرياض، 1444هـ، ص 55.

المطلب الثالث: الظلم والفساد الاجتماعي في رواية عائد إلى قبري لزكية علال

يعتبر الظلم والفساد من أخطر المظاهر السلبية المنتشرة في الدول وأكثرها فتكا بالأمن والسلم المجتمعي، فالظلم يجلب غضب الله تعالى ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب، وهو يخرب الديار وبسببه تنهار الدول والمجتمعات فهو أحد أنواع الفساد الاجتماعي الذي يعني الانحراف عن العدل وعدم الإنصاف وانتهاك حق الأخر عدوانا، وهو نوع من الجور والإساءة للطرف الأخر ومجاوزة الحد ووضع الشيء في غير موضعه.

أما الفساد فيعد من الأساليب الخاطئة التي يتبعها فرد من أفراد المجتمع من أجل تحقيق مكاسب ومصالح شخصية على حساب الآخرين وهذا يعتبر ظلم فهو إذن شكل من أشكال الظلم وهو عدم الالتزام بالقانون والنظام العام للبلاد.

ولقد ارتأينا في رواية عائد إلى قبري لزكية جلال نماذج كثيرة لظاهرتي الظلم والفساد في المجتمع حيث نلمس ذلك في قولها: «لكنني رجعت منها مهزوما بعد أن تركت في ترتبها الملونة برائحة الخيانة بعض جسدي ودمي ليشهد على بشاعة اعتناق الإنسان كمذهب القتل كغاية. .. فالكون منذ الولادة الأولى أخد شكل رجل قاتل بآخر مقتول ثم توسعت الخطيئة إلى شعب غالب وأخر مغلوب. .. وأمة ظالمة وأخرى مظلومة منذ الولادة الأولى ثم تنفع المحكمة ولا دعوة المظلوم للعالم لأن يجلس معه للتفاوض وعدم اللجوء إلى القتل لأنه ينهي كل علاقة إنسانية تربط الإنسان بأخيه الإنسان...»[1]، وفي مثال آخر تقول «كم هو مرجع أن تسيطر فلسفة القتل على منطق البشر تزحف إلى جسدك تنتزع منك بعضه وتتركك تسير إلى أهلك ببقايا جسد...»[2].

[1] – زكية علال رواية عائد إلى قبري، دار الأوطان ط1، 2015، ص15.

[2] – المصدر نفسه، ص، 16.

فزكية علال في هذين القولين تتحدث عن ظاهرة الظلم التي كثرت في المجتمع، فأصبح الإنسان ينتهك حق أخيه الإنسان إذ أن هناك ظالم يسئ للطرق الآخر، وهناك مظلوم يعاني ظلم البشر فجرائم القتل عمت الأمم وهذا ما أدى إلى إفساد المجتمعات وبالتالي فساد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

«... ظلم الناس لبعضهم البعض لا يأخذ مفهوما واحدا بل ألوان وأشكال تتغير من تفكير إلى آخر... لكن ظلم الوطن وخيانته لأبنائه هو الذي يأخذ شكل الخطيئة التي تحمل إلاّ لون القمر... تصور على صورة الخائن لوطنه ونعمته بأبشع الصفات... لكن الأوطان أيضا قد تمارس الخيانة ضد أبناءه وتتجاهل طموحاتهم وأخلاقهم وتقذف بهم إلى يأس قائل وهذا نوع من الظلم لا يمكن أن ترفعه عن نفسك ولا عن غيرك بالموافقة والموافق في المحكمة...»[1].

فهنا نتحدث عن الأشكال التي يتخذها ظلم الناس لبعضهم البعض وهو يتغير من شخص إلى آخر، إذ أن كل فرد يمارس نوعا من الظلم كذلك يوجد ظلم الوطن لأبنائه الذي يتجسد من خلال عدم الاعتراف بطموحاتهم وتحقيق أحلامهم وهذا ما يؤذي بهم إلى التفكير في شتي أنواع الظلم من: قتل، بطش، وقهر، وغيرها، إضافة إلى نوع آخر من الظلم ويتجلي في خيانة الأبناء.

وتضييف قائلة: «التشرد أقسى أنواع الظلم، الذي يعاني منه الأطفال والنساء...»[2].

فالتشرد من الظواهر المنتشرة بكثرة في المجتمعات، حيث يعتبر الأطفال والنساء من أكثر الفئات التي تتعرض له نتيجة ظروف مختلفة، وهو أبشع وأقسى أنواع الظلم إذ أنهم يفتقدون المأوي والأسرة والراحة والهدوء والأمان بسبب الفقر الذي يعانون منه.

---

[1] – الصدرالسابق، ص، 80.

[2] – المصدر نفسه، ص، 80.

وفي موضع آخر تقول: «يا لصحافة يمكن أن تحاكم الحاكم والمحكوم والمسؤول وحتى الأرض التي تخون أبناءها وتبطش بهم في لحظة ضعف... تستطيع أن تقيم موازين وتزلزل موازين أخرى...هل تصدق... بالموافقة لا ترفع الظلم إلا عن شخص واحد لكن بمقابل واحد قد تمتنع الظلم أو ترفعه عن شعب بأكمله... الشرط الوحيد أن تكون جزيا وجاهزا للموت...»[1].

أي أن الصحافة وحدها من يستطيع تحرير الشعب من الظلم وأخذ حقوقهم المسلوبة، وليس المحكمة فالصحفي بتحقيق واحد يمكنه أن يلفت انتباه جهات مسؤولة لهذه الظاهرة وذلك مقابل جرأته وجاهزيته للموت.

وتقول أيضا: «كان أول تحقيق قربني من رئيس التحرير فضية السلع التي تنام في الميناء سنوات وتنتهي صلاحيتها... تتعفن دون أن يستفيد منها المواطن وأحيانا تصلب ليس لشدّ رمقه بل لتقبله...»[2]، فهنا تتحدث لنا عن قضية الفساد، إذ أن يوسف بطل هذه الرواية لاحظ أثناء مسيرته المهنية حالة الظلم الذي يعاني منها الشعب، فالسلع التي تصدر في الميناء يحتفظون بها هناك دون أن يستفيد منها المواطن الفقير، وعندما تنتهي صلاحيتها يرمون بها إليه فتسبب في قتله وهذا ظلم وبطش يمارس في حق البشرية.

«...لكن الشعب الفقير جعلني حمالا للمهندس والطيب والمسؤول الصغير قبل الكبير... وسأورث هذه الأكياس لأبني الذي خرج من المدرسة وعمره عشر سنوات وهذا الآن يسند ظهره إلى حائط أمام دار متآكلة لا تحميها من أمطار ولا من حرارة الصيف...كم من ملف قدمتني للحصول على سكن اجتماعي لكن اسمي يسقط في كل مرّة لصالح من يملكون شقات وفيلات ويريدون المتاجرة أو للتفاخر. ..الحمال لا يورث إلا أكياسا يحملونها

[1] – المصدر السابق، ص، 80، 81.

[2] – المصدر نفسه، ص، 82.

على ظهور تتقوس شيئا فشيئا... أنا هنا منذ عشرين عاما ومازالت أتقاضى أجرة يومية بلا تأمين ولا راتب يكفل لأولادي حياة كريمة»[1].

ففي هذا القول نلمس حالة الظلم التي يعاني منها الإنسان الفقير الذي ينبذه المجتمع وينتهك حقوقه: لحقه في التأمين أو السكن، فالسكن مثلا يوفرونه للأشخاص الدين يملكون شقات وفيلات بدل من الأشخاص المحتاجين الذين يبيتون في العراء.

«...هذا الشعب كتب عليه الكفاح ليجد نفسه آخر كل معركة هو الخاسر الأول... ناضل من أج حريته ودفع ثمنها من دمه وأطفاله وعشيرته وعندما نالها انشغل هو بالرقص فرحًا بالاستقبال بينما تسلك الخفافيش لتستحوذ على الأملاك والفيلات التي تركها المعمرون ورحلوا... هذا المواطن القنوع دائما اكتفى برقصته الاستقلال، بينا "القياد" والخونة استولوا على كنوز الاستقلال وتحكوا في رقاب العباد... ليكون على رأسها من لا يرحم جوعه ولا عريه، ولا يهم أن يقتات من لحمه أو د، أو يستر عورته بخيبة يجترها... ثم يجد نفسه مجبرا مرة أخرى على الكفاح ليعود الأمن إلى وطن لا يلك في غير قبر وقد يضيق عليه»[2].

فزكية علال هنا تعبر عن الظل والفساد في المجتمع والذي يعاني منه الشعب ن طرف المستعر فو يتعرض لشتى أنواع الإساءة والتعذيب والجور والقتل، كما تتحدث لنا عن الأفراد الذين لهم مكانة مرموقة في المجتمع "كالقادة" وكيف يتسلطون وينتهكون حقوق إخوانهم البسطاء وذلك لطع فقد استولوا على كل خيرات العمرين ن فيلات وأملاك ولم يتركوا شيئا لإخوانهم المحتاجين فهم يسعون لتحقيق صالحه الشخصية دون التفكير في الآخرين.

[1] – المصدر السابق ، ص، 86.

[2] – المصدر نفسه ، ص 95.

«وصلتنا أخبار تقول أن أحداث شغب تعيشها قرية بني حمدان وأن السكان قطعوا الطريق الوطني، وعجز الناس عن الوصول إلى أماكن عملهم، وطلبة الجامعة متذمرون لأن هذا الحاجز منعهم من الالتحاق بالجامعة لإجراء الاختبارات... يقولون أن أنابيب الغاز مرت من فوق تراب قريتهم لتصل إلى بلديات مجاورة استفادت من خدمات غاز المدينة بينما مازالوا يتدحرجون وراء قارورات الغاز التي تنهب جيوبهم وقد تكتشف وأنت هناك أسبابًا أخرى...» [1].

«عرفت كيف يستخدم الإنسان النار وسيلة للتعبير عن الرفض وكيف يتوحد ع اللهب، ويفجر نفسه —إن اقتض الأمر ليقول: "لا" أو لينتقم من عدو يعجز أن يواجهه فيحول جسده المنهك قنبلة يفجرها في وجه الظلم الجاثم على صدره بلغة النار: إما أن أكون...أو لا أكون...إن لم تكن الكرامة ورداء الحرية فالنار أولى بالجسد تأكله وتتآكل معه...» [2].

هذين المقطعين يتحدثا عن قرية بني حمدان وما تعيشه من ظلم، فأفرادها يعانون من فقدان أنابيب الغاز بينما استفاد منه البلديات المجاورة لها، ذلك ليس عدل وهو سلب لحق من حقوقهم، فهذا ما جعلهم يقطعون الطريق الوطني ثائرين محتجين على هذا الوضع إذ أنهم يتقبلوا هذا الظلم فطالبوا بحقهم في الغاز مثل باقي البلديات الأخرى.

«تذكرت عمر أرتيلان الذي دفع حياته ثمنا لكلمة صدق قالها غير آبه بالنار التي تلتهم المكان والزمان داخل جغرافية بلد الشهداء الذي أنهكته الفتنة التي عصفت ببلده، فخاطب السلم تجل "كان آخر مقال له". ..صباحا، لم يتجل السلم الذي كان يتوق إليه بل تجلى الغدر في أبهى صوره وأبهى حياة صحفي ورصاص أحمق.

[1] – المصدر السابق ، ص 98- 99.

[2] – المصدر نفسه ، ص 99.

..تذكرت حكيم تعكوشت النشط الإذاعي الذي ملك قلوب المستمعين بحرارته وصدقه وهو يطل بصوته الآسر من إذاعة سيرتا بقسنطينة... تذكرت إسماعيل يفضح أحد نجوم الثامنة في التلفزيون الجزائري والذي خرج من بيته متجها نحو عمله فاعترضه من أمروا يقتله، ليس لذنب اقترفه بل لأنه أخذ جرعة زائدة في حبه للحقيقة وللوطن...تذكرت رشيدة حمادي التي كانت شجاعة وجريئة قدت تقارير كان معظم الصحفيين يرفضون الخوض فيها لخطورتها على حياتهم، فاغتيلت رفقة أختها وهما ذاهبتان إلى مركز التلفزيون...» [1].

فهذه كلها صور جسدتها لضحايا الظلم والفساد في المجتمع والذين تم اغتيالهم قهرا وظلما.

وأخيرا يمكننا القول أن هذه الرواية سلطت لنا الضوء حول ظاهرتي الظلم والفساد في المجتمع، فعدم وجود العمل يتولد لدى الناس إحساسا بالظلم، فتنبع فوضى القتل والدمار وانتهاك حقوق الآخرين من سعي الإنسان إلى نيل حقه بيده وهو ما لا يرضي الله تعالى، وللظلم أشكال كثيرة من بينها: هضم حقوق الآخرين وإعطاؤها لغير مستحقيها والإدلاء بشهادة الزور سعيا وراء كسب دنيوي زهيد، أو إرضاءا لنزعات معينة، وقد تمارس الظلم من قبل الأفراد والجماعات على حد السواء، ولعل أبرز البيئات التي تساعد على نمو هذه الظاهرة هي البيئات التي يسود فيها الجهل والتخلف والخوف والتي تحتوي أيضا على فئة من الناس تمتلك أنانية معززة بقوة، الأمر الذي يطبق على أنفس الضعفاء من كل الجهات إذ لا يمكن القضاء على الظلم بشكل نهائي وإلى الأبد فهو موجود في كافة المجتمعات والأماكن، إلا أن مكافحته واجبة خاصة في البلدان التي تعاني منه من خلال جعل الناس متساويين فيما بينهم، فلا فرق لأحدهم على الآخر على مستوى الحقوق والواجبات أو عند خضوعه لسلطة القانون.

[1] – المصدر السابق، ص، 198.

الخاتمة

خاتمة

وفي ختام دراستنا وجولتنا الاستكشافية في الرواية الجزائرية خلصنا إلى النقاط التالية:

- المتتبع لحركة الإنتاج الفني في أدبنا المعاصر يشهد أن فن الرواية أخد يحتل تدريجيا مكان الصدارة في الحياة الأدبية، وقد أصبحت تنشغل اهتمام كل من القارئ والناقد والكاتب.
- تصور الحياة اليومية للإنسان بكل تفاصيلها من تناقضات وصراعات آمال وخيبات، وبذلك أضحى الروائي المؤرخ الحقيقي لحيلة الشعوب وقضاياها.
- نشأة الرواية الجزائرية تتصل اتصالات وثيقا بالواقع السياسي المضطرب.
- شكلت مرحلة السبعينات مرحلة فتوة وانتعاش الرواية الجزائرية المعاصرة.
- شهدت الرواية الجزائرية عدة اتجاهات منها:الاتجاه الإصلاحي، الاتجاه الرومانتيكي، الواقعي.
- العاطفة جزء من الحب وكل منهما مكمل للآخر، فالعاطفة هي شعور اليم أو سار ثابت أو مستقر في أعماق النفس حول شيء معين، أما الحب فهو الميل والانجذاب نحو شخص أو شيء ما.
- يعد الكبت نوعا من أنواع اللاشعور فيصير نموذجا نوعيا للحالة اللاشعورية للفرد، ويعتبر إحدى الوسائل الهامة التي باستطاعتها فهم اللاشعور فهو عملية غير شعورية تستبعد الأنا.
- للخوف أشكال عديدة وبدرجات تتراوح بين مجرد الحدر والهلع والرعب، فهو الفزع الذي يشعر به الإنسان في داخله.
- الحزن حالة انفعالية تعبر عن مشاعر الغير، سارة أو المؤلمة داخل كيان الإنسان.

- الاغتراب هو البعد عن الوطن والانفصال عن الآخرين جسديا إذ يعد الاغتراب النفسي هو اكبر اغتراب يعيشه الإنسان لأنه قد يصل إلى درجة إحساسه بغربته عن نفسه وذاته.
- يعتبر الاستبداد السلطوي مصطلح سياسي، حيث تمارس الفئة الحاكمة، سياسات استبدادية وديكتاتورية على شعوبهم من قهر وترهيب واستعمال القوة، فهو القدرة والقوة التي يملكها فرد أو جماعة بالتأثير على الغير.
- الظلم والفساد من اخطر المظاهر السلبية المنتشرة في الدول وأكثرها فتكا بالأمن والسلم المجتمعي، إذ يعد الظلم انتهاك لحقوق الآخرين عدوا، وهو نوع من الجور وعدم الأنصاف ومجاوزة الحد ووضع الشيء في غير موضعه، آما الفساد فهو من الأساليب الخاطئة التي يتتبعها فرد من أفراد المجتمع من اجل تحقيق مكاسب ومصالح شخصية على حساب الآخرين.
- استطاعت هذه الرواية أن تكشف لنا عن الهواجس النفيسة الموجودة إذ نجد أن عاطفة الحب تطغى بشكل كبير في الرواية من خلال تجارب الحب التي عاشها يوسف بطل الرواية في حياته.
- تتمثل صور لاشعور والكبت في هذه الرواية من خلال الحالات النفسية التي يواجهها الشخصية الرئيسية لهذه الرواية من انفعالات تعرض لها في حياته.
- حملت لنا هذه الرواية نماذج كثيرة عن هاجس الخوف والحزن، التي تعرض لها يوسف بطل الرواية في حياته

وأخيرا فان معالجتنا لموضوع الهواجس النفسية والاجتماعية في الرواية لا يعني أن هذه الرواية مقتصرة على هذه الدراسة، بل هي غنية كل الغنى بمواضيع أخرى متنوعة ويمكن تناولها من جوانب متعددة، فالرواية لا تزال في

النهاية مفتوحة وهذا ما جعلها غامضة، وأخيرا نرجو أن تكون قد وفقنا في عملنا هذا ولو بالقدر القليل والله ولي التوفيق.

ملاحق

الملحق رقم (01): حياة المؤلفة زكية علال وثقافتها:

زكية علال اسم متألق متميز في سماء الكتابة الجزائرية من مواليد 1966، متخرجة من المعهد التكنولوجي للتربية، أستاذة اللغة العربية، بدأت الكتابة في منتصف الثمانينات، نشت العديد من أعمالها الأدبية عبر أشهر الجرائد الجزائرية منها: النصر، المساء، الشعب، الجمهورية، وقد شاركت في عدة ملتقيات وطنية، ونالت عدة جوائز منها: الجائزة الثانية للقصة عن مديرية الثقافة الولائية بومرداس سنة 2000، الجائزة الأولى في القصة لفرارة المجاهدين سنة 2003، جائزة كتامة للقصة سنة 2005، الجائزة الأولى للعلامة عبد الحميد بن باديس في السرد والتي نظمها المجلس الولائي لولاية قسنطينة سنة 2008 جائزة في مسابقة أدبية نظمتها إذاعة أل بي بي سي مع المنتدى بالإمارات العربية المتحدة. كما كرمت من طرف الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب مطلع عام 2008 ضمن 149 كاتبا عربيا، وقد أجريت معها عدة حوارات لعدة جرائد ومجلات منها: الملحق الثقافي لجريدة الثورة السورية، جريدة النهار الكويتية، جريدة النصر، جريدة اليوم من المواقع الأدبية، ولها عدة اصدارات منها "وأحرقت سفينة العودة" مجموعة قصصية عن رابطة الإبداع الوطنية، لعنة المنفى عن دار يحي للكتاب سنة 2005، رسائل تتحدى النار والحصار عن مركز نهر النيل للنشر سنة 2009، وعن دار ابن الشاطئ للنشر 2015، وشرايس عارية عن دار ابن الشاطئ للنشر 2015، ورواية "عائد إلى قبري" عن دار الأوطان سنة 2015.[1]

[1] – ينظر، الغلاف الخارجي، زكية علال، رواية عائدإلى قبري الجزائر، ط1، 2015.

الملحق رقم (02): ملخص الرواية

تدور أحاث رواية عائد إلى قبري حول رجل يدعى د، يوسف عاد إلى بلده فينبش قبر أبيه بعد عشر سنوات من دفنه والذي قتل بشكل غامض فوجدت رأسه الذي فصل عن جسده ملفوفا في كيس بلاستيكي إلى أن بقية الجسد مجهول أين رمى به القاتل ولهذا يعود ليتأكد أن الجثة عادت إليها حرمتها وإلتم شملها واجتمعت أمضاءها في شبر واحد عندما يقدم على هذا العمل الذي ترفضه الديانات والأعراف ويشمئز منه البشر على إختلاف أجناسهم لابد وأن يكون السر الذي حمله معه كبيرا سر يتعلق بمصير وطن على جثث أبنائه ليعيد صورته ولو كانت مشوهة.

عندما يفكر الرجل في نبش قبر أبيه فقط ليبكي على كتف ولو كانت باردة لابد من أن يكون الهم الذي يحمله كبيرا عطب في الروح وعطب في الجسد إعاقة في القلب وإعاقة في الرجولة أصبحت معلقة إلى إشعار آخر فبتر الساق أعداه نصف رجل بل شبحا لهيكل لا ينفع أن يكون رجلا ولا يسع أن يرث وريثا عنه والسبب في ذلك مشيئة الرب التي أرسلت في مهنة الصحافة إلى العراق ليكون شاهدا على سقوط بغداد عند تغطيته للأحداث.

"وفجأة حبس الزمن أنفاسه... سقطت بغداد تهاوت أحلام الشموخ تناثر عقد الرجاء الذي كنا نتجمل به... وسخرت منا سمكة أفريل لأننا صدقنا وعود حاكم عربي... لا ندري أي زلزال ضرب الأرض. ..أي صاعقة نزلت من السماء فأحرقت رؤى كانت تتهادى على حبل الأمل والرجاء بل أي طوفان جرفته محيطات العالم، ومسح حلم كنا نهد بهذه صغيرا ونأمل أن يكبر"[1]

[1]- زكية علال، عائد إلى قبري، دار الأوطان، الجزائر ط1 2015 ص238.

فبعد سقوط بغداد سلبت رجولة بعد حدوث انفجار في الفندق رفقه رفقائه في المهمة "عمار"إنعام"، "إلهام" "منصور" والبعض من الصحفيين القادمين من بعض الدول الشقيقة فمات عمار الذي كان يحمل هم زوجته المتعلقة والثائرة بسبب قتل عائلتها وهم ابنه الذي ولد في المعتقل بالإضافة إلى هوسه الدائم على رؤية زوجته داخل الزنزانة مجردة من ملابسها إلى أن تصبح عارية إلا من صراخها ورغبتها في الانتقام ممن جردها من أهلها قبل ثيابها...أراهم يطرحونها أرضا أمام عيني وجد أون...

"فعمار مقتول منذ أن خرج من وطنه عاريا إلا من فجيعته وكاميرا يعلقها على صدره ليصور بها سقطات عصر مجنون"[1].

أما "إنعام" والتي لطالما أنسته فقد وضمدت جراحه بعد فجيعة في ساقه ورجولته فقد فقدت عينها اليمنى جراء الانفجار لكنها غير حزينة على ذلك "صدقني يوسف لست آسفة على ما ضاع من فعندما يرحل الذين نحبهم تكفي عين واحدة لنرى الآخرين "[2].

ولقد ساندته في محنته وبقيت إلى جانبه طيلة غيبوبته "مدة شهر" ولطالما حرضته على التشبث بالأمل ولهذا كان يقول لها دائما "ألم أقل لك مند لقائنا أني أنتمي إليك"[3].

ألم أقل لك يوما أنك ابنتي التي لم أرغب لها أختا" ومن هذا فسوف أحب سعاد حب عفيفا لكن أنعام "المصرية" يحبها حبا إنتمائيا ويرى أنها تكملة، وفي ختام هذه الرواية بنهاية مفتوحة دون حل حسم لأوضاع بعض أقطابها، فتركت الأحداث غير مكتملة أي بقيت منفرجة الأضلع فلا نعرف نهايتها إن كانت سعيدة بزواج يوسف

[1]- زكية علال، عائد إلى قبري، ص281

[2]- المصدر نفسه، ص281

[3]- المصدر نفسه، ص287، 288

أم حزينة ببقائه وحيدا مكسورا ومنهزما بعد بتر ساقه وخطف رجولته، وهذا الانفتاح يتركز الغموض وعنصر التشويق لدى القارئ وهذا ما يجعله ينتظر إصدارات أخرى.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

I – المصادر:

1. زكية علال: عائد إلى قبري، دار الأوطان، ط1، 2015

II – المراجع

أولا: المعاجم والموسوعات

2. إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيان وحاسد عبد القادر"المعجم الوسيط" دار العودة، اسطمبول 1989
3. ابن عباد إسماعيل، المحيط في اللغة، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ،
4. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب الفاء والسين، ج 2،
5. البركتي محمد عميم الاحسان المجددي،تعريفات الفقهية ،ط1،بيروت ،دار الكتب العلمية ،2003
6. جبور عبد النور: المعجم الأدبي، بيروت –دار العلم، ابراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ج2، ط2،
7. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1991
8. الجوهري، تاج اللغة وصحاح اللغة العربية، تح، احمد عبد الغفور، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط2،دت.
9. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، المجلد الرابع، بيروت، لبنان، ط1، 2003
10. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، المجلد الرابع، بيروت لبنان، ط1، 2003
11. الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ج1
12. عبد الرحمن الوافي: قاموس مصطلحات علم النفس، دار الرسالة، الجزائر، دط، دس
13. لويس معلوف: المنجد في اللغة العربية "بيروت، دار المشرق"

14. لجنة من العلماء والأكادميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط6، 1987

15. ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 2005،

16. بطرس البستاني محيط المحيط، قاموس مطول اللغة العربية، دط، ساحة رياض الصلح، بيروت لبنان، 1987

17. عبد الرحمن الوافي: قاموس مصطلحات علم النفس، دار الرسالة، الجزائر، د س،

ثانيا – المراجع العربية

18. ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج6، ط1، 1990

19. أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1964

20. أحمد سيد محمد: الرواية الانسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989،

21. ادريس بودية: الرؤية والبيئة في روايات الطاهر وطار، حسب الطبيعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007م،

22. آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل إلى المختلف ،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تزي وزو،دط، 2006

23. بن جمعة بوشوشة، سردية التجريب وحداثة السردية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر تونس، ط1 2005م

24. تفسير القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، الجزء 4. بيروت، 2006،

25. جمال عبد المنعم الكومي، ثمانون حديثا في الظلم والظلمة والمظلومين، مراجعة وتقديم، حسن عاشور، دار الاعتصام، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، 1992.

26. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات بين العلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007.

27. الحنبلي، عبد الرحمن بن رجب الحسن، شرح حديث بن لبيك اللهم لبيك، تحقيق: وليد عبد الرحمن محمد آل مزيان، ط1، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، 1417هـ، 1996م

28. الراغب الأصفهاني، أبي القاسم حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مراجعة وائل عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، مصر، 2003

29. رشيد رضا: تفسير القرآن الكريم، ج6،
30. السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية مصر، 1997
31. سعيد يقطين:تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبتير(دار البيضاء ،المغرب،ط4، 2005،
32. سمير روحي الفضل: الرواية العربية ومصادر دراستها ونقدها، العين خواتيم، 2008م
33. عبد الحميد متولي، الوجيز في النظريات والأنظمة السياسية، دار المعارف، القاهرة، (د ط، 1959
34. عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصر، د ط
35. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013
36. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات سيكولوجية "الاغتراب" دار غريب للطباعة والنشر القاهرة مصر 2003
37. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1974،
38. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1988،
39. عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، مصر 1983
40. عبد المطلب أمين القريطي: في الصحة النفسية ،" دار الفكر العربي، القاهرة، دط
41. علي ابو الطيب محمد صديق خان بن حسن ،فتح البيا نفي مقاصد القران،(15ج)،تحقيق: عبد الله ابراهيم الانصاري ،بيروت: المكتبة العصرية ،1412هـ-1992م
42. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وانواعا وقضايا وأعلاما) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- ط2، 2009،
43. فاطمة عيسى حاسم: غائب طعمة حرمان، روائيا، دراسة فنية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ط، 2004
44. فاطمة محمد حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مديوني، القاهرة، د ط، 1997
45. فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغربية دراسة في الفعاليات النفسية وآليات القراءة، علم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010
46. فتيحة بلامين: السبيل في الأدب، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط
47. كامل محمد عويضة: علم النفس الشخصية، بيروت، دار الكتب العلمية

48. كاميليا عبد الفتاح: اشكالية الوجود الانساني: دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثة، دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية، دط، 2008،

49. لينا أحمد عوض: تجربة الطاهر والطار الروائية بين الايديولوجيات وجماليات الرواية

50. ماهر حسن فهمي: الحنين والغربة في الشعر الغربي الحديث: معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د ط، 1975

51. محمد الدغومي، الرواية المغربية والتعبير الاجتماعي، مطابع إفريقيا، الشرق، 1991،

52. محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم الاختلاف، دار الأمان، الرباط، 2010،

53. محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي، منشورات كتاب اتحاد الأدباء العرب، دمشق، د ط، 1999

54. محمد كامل ليلة، النظم السياسية (الدولة والحكومة)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1969

55. محمد مدني بوساق: المعروف بالفساد وصورة من الجهة الشرعية، الجزائر، الخلدونية، 2009

56. مشتار –السيد علي– الفساد الإداري ومجتمع المستقبل، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2003م

57. المفردات عزيب القرآن، دار المعرفة– بيروت– ط3، 2001

58. ناصف نصار، التفكير والهجرة (من التراث إلى النهضة العربية الثانية)، دار النهار، بيروت، ط1، 1997

59. ناصف نصار، منطق السلطة (مدخل إلى فلسفة الأمر)، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1995

60. نبيل عبد الحميد: مدخل لدراسة الفلسفة اليونانية، منشورات كلية بابل للفلسفة ،واللاهوت ،أربيل، د ط، 2008

61. نوير سلامي: المعجم الموسوعي في علم النفس، تر. وحيد أسعد، منشورات دار الثقافة، سوريا، ط4، 2001، ج4

62. واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

63. واسيني الأعرج، الطاهر وطار: تجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية الجزائر، 1989

64. ياسين النصير: الرواية والمكان، الموسوعة الصغيرة، 57، منشورات الثقافة، بغداد، 1980

65. يحي عبد الله: دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية:ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2005

66. يحيى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية شخصيات الطاهر بن جلوت الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.

ثالثا– المراجع المترجمة:

67. جان كلود فيلو، بحث في خفايا النفس الانسانية، تر. د علي أسعد وطفة، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1 1996

68. ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة وتحقيق كامل يوسف حنين،ط2، دار الشرقيات للنشر والتوزيع القاهرة،مح1، 1996

69. ميشال فوكو: نظام الخطاب: تح: محمد سبيلا، دار التنوير، د ط، 1998

رابعا– الرسائل والأطروحات الجامعية

70. السعيد الراوي: ظاهرة الحزن في شعر السياب، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 1986

71. عبد الأمير محسن عودة: الغربة والاغتراب في الشعر الكويتي البحريني، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، 1980،

72. محمد ،صالح خرفي تجربة مجلة آمال في الصحافة الأدبية. الجزائر، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

73. مريم شعابنة، انزياح الرواية الجزائرية من اللغة إلى الايديولوجيا، رواية الورم لمحمد ساري انموجا مذكرة ماستر كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الصديق بن يحي، جيجل، 2017

خامسا– المجلات والدوريات:

74. بسام خليل فرنجية (الاغتراب في أدب حليم بركات) مجلة فصول

75. عادل كامل: الاغتراب في الفن التشكيلي المعاصر، مجلة الثقافة، السنة العاشرة، ع4، 5، سينان، 1987

76. مصطفى قيصر: عبد الحميد بن هدوقة، رواية ريح الجنوب مجلة المعرفة، العدد 549، 2003.م

سادسا– الملتقيات والأيام الدراسية

77. علي جعفر عبد السلام –التعريف وصوره من الفساد من الوجهة الشرعية في أبحاث المؤتمر الدولي لمكافحة الفساد، المجلد الأول أكاديمية نايف، الرياض، 1444هـ.

سابعا– المواقع الإلكترونية:

78. www.arabic.christian-counseling.com

79. www.diwanl arab.com/sdip.ph.piarpicle37074

80. http//www.islamwab-ner/vev2/istisharat/details2/php/rqid27,294

81. http.www.mawdoo3.com/ D8/AAD8

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: الرواية الجزائريةالنشأة والتطور **5**

المبحث الأول: مفهوم الرواية ونشأتها 6

المطلب الأول: مفهوم الرواية 6

1- لغــة: 6

2- اصطلاحا: 7

المطلب الثاني: نشأة الرواية الجزائرية 9

المبحث الثاني: اتجاهات الرواية: 15

المطلب الأول: الاتجاه الاصطلاحي: 15

المطلب الثاني: الاتجاه الرومانتيكي 16

المطلب الثالث: الاتجاه الواقعي 16

أ- الواقعية الاشتراكية: 17

ب- الواقعية الاقتصادية: 17

المبحث الثالث: خصائص الخطاب الروائي: 19

الفصل الثاني: الهواجس النفسية **21**

تمهيد 22

المبحث الأول: العاطفة وتجربة الحب 25

المطلب الأول: العاطفة 25

أولا – تعريف العاطفة 25

أ– لغة: 25

ب– إصطلاحا: 25

ثانيا– أنواع العاطفة: 28

المطلب الثاني:تجربة الحب 29

أولا– تعريف الحب: 29

أ– لغة: 29

ب– إصطلاحا: 30

المطلب الثالث: العاطفة وتجربة الحب في رواية عائد إلى قبري لزكية علال 30

المبحث الثاني: تأثير اللاشعور وعقدة الكبت 34

المطلب الأول: اللاشعور 34

المطلب الثاني:الكبت 36

أولا- تعريف الكبت..... 36

أ- لغة: 36

ب/ اصطلاحا: 37

المطلب الثالث: تأثير اللاشعور وعقدة الكبت في رواية عائد إلى قبري لزكية علال 38

المبحث الثالث: هاجس الخـوف وشعور الحزن..... 42

المطلب الأول: الخوف 42

أولا- تعريف الخوف..... 42

أ- لغـة: 42

ب- اصطلاحا: 44

المطلب الثاني: الحـزن 44

أولا- تعريف الحزن 45

أ- لغـــة: 45

ب- اصطلاحـا: 45

المطلب الثالث: هاجس الخوف وشعور الحزن في رواية عائد إلى قبري لزكية علال 46

الفصل الثالث: الهواجس الاجتماعية 50

تمهيد 51

المبحث الأول: معاناة الاغتراب..... 55

المطلب الأول: ماهية الاغتراب 56

أولا- تعريف الاغتراب:..... 57

أ- لغة: 57

ب- اصطلاحا: 58

المطلب الثاني: أنواع الاغتراب..... 60

المطلب الثالث: معاناة الاغتراب في رواية عائد إلى قبري لزكية علال..... 66

أولا- الغربة المكانية:..... 66

ثانيا- الاغتراب النفسي:..... 67

المبحث الثاني: الاستبداد السلطوي..... 70

المطلب الأول: تعريف الاستبداد 70

أ- لغة: 70

ب- اصطلاحا: 70

المطلب الثاني: تعريف السلطة 71

أ- لغة: 71

ب- اصطلاحا: 75

المطلب الثالث: الاستبداد السلطوي في رواية عائد إلى قبري لزكية علال 77

المبحث الثالث الظلم والفساد الاجتماعي..... 81

المطلب الأول الظلم 81

أولا- تعريف الظلم..... 81

أ- لغة: 81

ب- الفساد: 83

المطلب الثاني: الفساد 83

أولا- تعريف الفساد..... 83

أ- لغة 83

ب- اصطلاحا: 85

المطلب الثالث: الظلم والفساد الاجتماعي في رواية عائد إلى قبري لزكية علال 87

الخاتمة **88**

ملاحق..... **88**

قائمة المصادر والمراجع..... **88**

فهرس المحتويات 88